

يد الله مع الجماعة

رسالة في الاتحاد

بقلم

ساطع الحصري

اكرم زعيتر

كامل مروه

ليرة لبنانية واحدة



(رسالة في الاتحاد)

م – ١

طبع على مطابع « دار الحيـــاة »

يد الله مع الجماعة

رسالة في الاتحاد

مقالات نشرت في جريدة « الحياة »
بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٤

بقلم

ساطع الحصري

اكرم زعيتر

كامل مروه

بيروت ● ١٩٥٤

تمهيد

تفخر «الحياة» بانها وقفت نفسها منذ صدورها سنة ١٩٤٦، على الدعوة الى الاتحاد بين الاقطار العربية ، وانها استطاعت الثبات في وجه الاعاصير –والمغريات– التي اثارها ويثيرها خصوم الدعوة الاتحادية ، شأن المؤمن بمبدئه ، الواثق بقضيته .

وتفخر «الحياة» بانها جعلت من صفحاتها منبرا لحملة الفكرة القومية ، واساطين الدعوة اليها ، فانطلقوا في مختلف المناسبات ، ينافحون عن الدعوة الاتحادية في مقالات تنضح قوة في المنطق الواعي المفكر ، وسراوة في العاطفة القومية الجريئة .

و«الحياة» ترى من تمام الواجب نحو رسالتها القومية الاتحادية المقدسة جمع بعض هاتيك المقالات ، في كتاب يتسنى لكل عربي وعربية ان يطلعا عليه .

وقد كان الحافز المباشر على اصدار هذا الكتاب الرسائل والاسئلة الكثيرة التي تنهال علينا من مختلف الجهات ، خاصة من ابناء الجيل الطالع ، يستفسرون فيها عن تفاصيل الدعوة الاتحادية وخوافيها ، فاخترنا من المقالات القومية المنشورة في «الحياة» بين ١٩٤٨ و١٩٥٤ نخبة تتضمن الجواب الشافي على كل سؤال ، والرد المفحم على كل تعريض. وبذلك يكون هذا الكتاب مرجعا مصغرا للقضية العربية الاتحادية في هذه المرحلة من الزمن ، المفعمة بجلائل الاحداث .

و«الحياة» حين تسهم في اداء هذه الخدمة القومية ، تتحدث بنعمة الله فتذكر ، شاكرة ، ما تلاقيه هذه الرسالة من استجابة قوية لدى احرار العرب ، وهي استجابة تبشر بأن النصر آن ، وان المستقبل للاتحاد العربي .

كامل مروه



كامل مروه

اصل التجزئة : اتفاق سايكس - بيكو

من اسوأ المساويء التي ارتكبتها حكومات « الاستقلالات » العربية انها كتمت عن رعاياها سر نشأتها وكياناتها . فهذه الحدود التي تفصل بين الدويلات العربية لم تكن موجودة منذ ثلاثين سنة ، بل اخترعها المستعمر وفقا لمصلحته . واليوم ، عندما تطلب هذه الحكومات الى مواطنيها الولاء لهذه الحدود ، فانما تطلب اليهم الوفاء لتراث الاستعمار !

هذه الحقيقة البشعة ، التي تمر بها كتب التاريخ المدرسي في بلاد العرب مرا سريعا ، يجب ان يطلع عليها ابناء الجيل الجديد ، وان يتذكرها ابناء الجيل السابق لكي يفهموا اسباب الاضطراب الكامن في كل دولة عربية ، ولكي يستجلوا من خلالها غوامض السياسات الاجنبية في بلاد العرب ، وهي - في الواقع - تكملة لما بدأ في الحرب العظمى .

في سبيل هذه الغاية ، تخصص « الحياة » اليوم مقال الاسبوع لاتفاق « سايكس - بيكو » الذي قامت على اسسه تجزئة العالم العربي .

***

لما وقعت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ، كان العالم العربي داخلا في الامبراطورية العثمانية . وكان مقسما تقسيما اداريا يختلف عن التجزئة التي قررها الانكليز والفرنسيون فيما بعد ، ويمكن ايجازها كما يلي :

١ - ولاية حلب ، وكانت تضم شمال سوريا والاسكندرونة والاجزاء العربية من جنوب تركيا حتى اورفة .

٢ - ولاية سوريا ، وكانت تمتد من حماة على محاذاة جبال العلويين وجبال لبنان ونهر الاردن حتى العقبة على البحر الاحمر ، فتضم القسم الجنوبي من سوريا والقسم المعروف اليوم بشرق الاردن .

٣ - ولاية بيروت ، وكانت تضم جبال العلويين والقسم المعروف اليوم بجنوب لبنان وشمال فلسطين بما فيها نابلس حتى يافا وفي وسط الولاية كان يقوم سنجق جبل لبنان المستقل باستثناء بيروت التابعة للولاية .

٤ - سنجق القدس ، وكان يضم القسم الجنوبي من فلسطين ، من يافا حتى مصر .

اما في العراق فكانت ولايات الموصل وبغداد والبصرة . واما الجزيرة العربية فكانت خاضعة لحكم عشائري تحت اشراف الاتراك ، وكانت امارة الاشراف في مكة ابرز سلطة سائدة .

هذه الولايات والسناجق والامارات كلها كانت معروفة ببلاد العرب ، لا حدود بينها ولا سدود ، حتى وقعت الحرب العظمى ...

***

ما ان دخلت تركيا الحرب الى جانب

« مقال الاسبوع » في « الحياة » العدد ١٦٠٤ ، في ٢٩ تموز ١٩٥١



حدود الدولة العربيـة كمـا وعد الانكليـز بهـا الشريـف حسن فى المـراسلات المتبادلة مع مكماهـون (راجع المقـال)

المانيا سنة ١٩١٥ ، اتصل الانكليز بالشريف حسين في مكه ، ودعوه الى الانتقاض على الاتراك والانضمام الى الحلفاء .

وتبادل على الاثر الشريف حسين تلك الرسائلَ التاريخية مع السرهنري مكماهون ، المعتمد البريطاني يومئذ فى مصر . وقد طلب الشريف فى رسالته المؤرخة فى ١٤ تموز سنة ١٩١٥ ان يوافق الانكليز على الاقتراح التالي :

« ان انكلترا تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين ــ ادنة ، حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد فارس (ايران) حتى خليج البصرة شرقا . ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا (باستثناء عدن التي تبقى كما هي) ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا . »

فاجاب مكماهون فى ٣٠ اب ١٩١٥ طالبا تأجيل البحث في الحدود الى اشعار اخر . ولكن الشريف اجابه في ٩ اب ، رافضا دخول الحرب قبل الاتفاق على الحدود . فرد عليه مكماهون في ٢٤ تشرين الاول بكتاب يقول فيه أن الحكومة البريطانية تطلب استثناء بعض المناطق من الحدود التي عينها الشريف كما يلي :

١ ــ لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض اجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحمص وحما وحلب « لايمكن تسميتها عربية محضة ، فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي بينتموها . وانه بمقتضى هذا التعديل ــ ومن غير اخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب ــ نقبل الحدود على ما ذكرتموه »

٢ – تطلب بريطانيا شكلا اداريا خاصا باشرافها لولايتي البصرة وبغداد .

فاجاب الشريف في ٥ تشرين الثاني ١٩١٥ بما يلي :

١ – تنازل عن ضم مرسين وادنه الى المملكة العربية . « اما قضية حلب وبيروت وسواحلهما فهي عربية صرف ، وليس من فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي، فكلاهما من نسل واحد . »

٢ – وافق على ان يترك لمدة قصيرة الاراضي التي تحتلها الجيوش البريطانية في العراق تحت ادارة انكلترا ، لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض عن مدة احتلال هذه المنطقة .

واجاب مكماهون في ١٣ كانون الاول بما يلي :

١ – اعرب عن ارتياحه لاستثناء ادنه ومرسين من المملكة العربية .

٢ – اجل الجواب في صدد الاراضي الواقعة غرب ولايتي حلب وبيروت ،ريثما يتم التفاهم مع فرنسا عليها .

وختم رسالته بقوله : « ان حكومة بريطانيا قد فوضت الي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام اي صلح الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية . »

بهذه الرسالة ، انتهى البحث في امر الحدود ، ويكون الانكليز قد وافقوا على مطالب الشريف ، الا فيما يتعلق بمرسين وادنه ، و « الادارة الخاصة » للعراق ، وجبل العلويين وجبل لبنان (راجع الخريطة)

***

قبل ان يجف حبر الوعود المقطوعة للشريف حسين ، اخذت وزارة الخارجية البريطانية تنظر الى القضية العربية نظرة مختلفة . ففي كانون الاول ١٩١٥ انتهت معركة غاليبولي في المضايق التركية بانسحاب الانكليز نهائيا بعد خسائر هائلة . وفي نيسان ١٩١٦ اصيب الجيش البريطاني بهزيمة ساحقة في كوت العمارة في العراق .

هاتان الهزيمتان في الشرق الادنى جعلتا انكلترا تطلب المزيد من معونة روسيا وفرنسا ، فرفضت هاتان الدولتان تلبية طلبها قبل الاتفاق على اقتسام الغنائم وتوزيع ميراث « الرجل المريض » ، اي الامبراطورية العثمانية .

هكذا بدأت في شباط ١٩١٦ مباحثات ومفاوضات بين ممثلي انكلترا وفرنسا وروسيا ، اسفرت عن توقيع معاهدة بطرسبرغ (لينينغراد اليوم) في ٤ اذار ١٩١٦ . وهذا نص المواد الخاصة منها بالحدود :

المادة الاولى – تتعهد فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا فيما بينها ان تعمل يدا واحدة في سبيل انقاذ البلاد العربية ، وحمايتها وتاليف حكومة اسلامية مستقلة فيها ، تتولى بريطانيا مراقبتها وادارتها.

المادة الثانية – تتعهد الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيل سائر السبل المؤدية الى مرور الحجاج وعدم الاعتداء عليهم .

المادة الثالثة – تقسم البلاد العثمانية الى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة على الوجه التالي :

منطقة نفوذ روسيا

اولا – تضم الى روسيا المناطق التالية :

ا – ولايتا ارضروم وبتليس والمناطق التابعة لهما .

ب – الاراضي الكائنة جنوبي كردستان ، وتمتد على خط من ولاية موش الى سعرد، ومن هناك تنحدر الى جزيرة ابن عمر ، لتتبع خطا مستقيما الى العمادية ، ومنها الى الحدود الايرانية .

ج – تتجه نقطة الحدود هذه من موش شمالا الى البحر الاسود فتدخل طرابزون في سمتها

د – تنتهي نقطة حدود روسيا على البحر

الاسود شرقي طرابزون في منطقة تحدد فيما بعد .

هـ – تخضع هذه الاراضي خضوعا تاما الى حكومة صاحب الجلالة قيصر روسيا وتعتبر من ممتلكاته .

منطقة نفوذ فرنسا

ثانيا – تضم الى منطقة نفوذ فرنسيا المناطق التالية :

ا – السواحل السورية ، وتبدأ هذه السواحل من حدود الناقورة مارة بصور وصيدا فبيروت فطرابلس واللاذقية ، وتنتهي الى الاسكندرونة .

ب – تضم المناطق الساحلية جميعها الى فرنسا ، مع الجبل اللبناني المعروفة حدوده بموجب الاتفاق الدولي .

ج – تضم جزيرة ارواد والمناطق المجاورة لها والجزر الصغيرة القائمة على الساحل المعرف عنه في الفقرة السابقة .

د – تضم ولاية كليكيا الى النفوذ الفرنسي ، وتبدأ حدود هذا الخط من جهة الجنوب من الحدود الخاضعة الى النفوذ الروسي في جزيرة ابن عمر ثم تنحدر شمالا من الاطاغ – قيصري داق طاغ – يلديز طاغ – زرعه – اكين – خربوط

هـ – تظل هذه المنطقة خاضعة تمام الخضوع للنفوذ الفرنسي .

منطقة نفوذ بريطانيا

ثالثا – تؤلف منطقة النفوذ البريطاني من المناطق التالية :

ا – تضم المنطقة الممتدة من الحدود الروسية والافرنسية في الخطين المذكورين الى النفوذ البريطاني ، وهذه المنطقة تضم القطر العراقي مع مدينة بغداد .

ب – السواحل الممتدة من الحدود المصرية الى حيفا نعكا حيث تتصل بحدود نفوذ فرنسا .

ج – تضم المنطقة الممتدة من خليج فارس الى اخر البحر الاحمر الى نفوذ بريطانيا المطلق .

د – تؤلف الحكومات العربية ، عملا بالمادة الاتية ، من سكان المناطق المسكونة بالعرب على ان تكون هذه الحكومات حائزة على السيادة والاستقلال اللازم لها والذي يعين فيما بعد بالاتفاق بين الحكومات المتحالفة .

المادة الرابعة – تتالف في المنطقة الكائنة بين منطقتي النفوذ الفرنساوي والبريطاني دولة او حلف دول عربية مستقلة وفقا لاتفاق خاص بين فرنسا وانكلترا ، على ان تحدد حدود هذه الدولة حين عقد هذا الاتفاق .

المادة الخامسة – يكون ميناء اسكندرونة دوليا وتعلن حريته

المادة السادسة – تعتبر فلسطين واماكنها المقدسة منطقة خارجة عن الاراضي التركية على ان توضع تحت ادارة خاصة وفقا لاتفاق يعقد بين انكلترا وفرنسا وروسيا بهذا الشان وتحدد مناطق نفوذ المتعاهدين ومصالحهم .

***

جاءت معاهدة بطرسبورغ تناقض عهود مكماهون مناقضة صريحة. ولكن الانكليز اخفوا نبأ هذه المعاهدة عن الشريف ، كما اخفوا عن الفرنسيين نبأ تلك العهود ، فلم يسمع بها كليمنصو رسميا الا في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ !

وبينما كانت المفاوضات دائرة لعقد معاهدة بطرسبورغ ، اتفق الانكليز والفرنسيون على اجراء مفاوضات اخرى فيما بينهم لاقتسام مناطق النفوذ بصورة مفصلة في الحصة التي تخصصها لهم معاهدة بطرسبورغ .

وعلى هذا اوفدت الحكومة الفرنسية الى مصر في ٩ شباط ١٩١٥ السيد جورج بيكو ، قنصلها السابق في بيروت ، حيث اجتمع الى الموفد البريطاني السر مارك سايكس ، فتفاوضا على اقتسام مناطق النفوذ ، ووقعا في ١٦ ايار ١٩١٦ الاتفاق المعروف باسميهما ، والذي قامت على اساسه حدود الدول العربية بعد الحرب ، وهي الحدود التي اصبحت اليوم مقدسة !

وما لبث الطليان ان علموا بمعاهدة بطرسبورغ، فقامت قيامتهم، واحتجوا الى فرنسا وانكلترا طالبين حقهم من



هذه الخريطة كيف اتفق الحلفاء على تقسيم الشرق الادنى وفقا لمعاهدة بطرسبورغ واتفاق سايكس بيكو واتفاق سينينو فترى الى اليمين اعلاه المنطقة التي انتزعوها من تركيا للروس ، والى اليسار المنطقة التركية التي اعطوها للطليان . اما في بلاد العرب فقد اعطوا كيليكيا مع الساحل لفرنسا ، واعطوا العراق لانكترا ، وجعلوا فلسطين (البقعة السوداء) ادارة دولية مشتركة . اما البقعة البيضاء في الوسط ، فقد اتفقوا على انشاء حكم عربي فيها ، شمالا تحت النفوذ الفرنسي وجنوبا تحت النفوذ البريطاني .

الميراث العثماني . وعلى الاثر جرت مفاوضات ادت الى توقيع ملحق ((سونينو)) في شباط ١٩١٧ ، وبموجبه اعترف الحلفاء لايطاليا بحقها في احتلال جنوب غرب الاناضول، وباشراكها في الادارةالدولية لفلسطين .

***

ظل اتفاق سايكس وبيكو – كمعاهدة بطرسبورغ – مكتوما عن العرب ، حتى وقعت الثورة البلشفية في روسيا ، فاذاع البلاشفة نصه في جملة الوثائق القيصرية السرية التي اذاعوها . وعندئذ ارسل جمال باشا الصغير النص الى الشريف حسين ضمن رسالة موجهة الى الامير فيصل واخرى الى جعفر العسكري قائد القوى العربية الشمالية ، في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٧ ، يدعو فيهما الى عقد صلح بين العرب والعثمانيين، بعد افتضاح خيانة الانكليز .

ورفض الحسين هذا العرض ، واتصل بالانكليز مستفسرا عن اتفاق سايكس وبيكو ، فاجابوه في ٨ شباط ١٩١٨ بنفي قاطع ، متهمين جمالاً بالدس والنفاق !

وكأن تلك الاتفاقات المتناقضة لم تكن كافية ، فارتبط الانكليز في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ مع اليهود بوعد بلفور المشهور ، الخاص بفلسطين : فلسطين التي تركوها للملك حسين في عهود مكماهون ، وجعلوها دولية في اتفاق بطرسبورغ!

***

وننشر في ما يلي نص المواد الخاصة بالحدود من اتفاق سايكس – بيكو الاساسي :

المادة الاولى – ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة او حلف دول عربية ،تحت رئاسة رئيس عربي فى داخلية سوريا وداخلية العراق ، المبينتين فى الخريطة الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا فى المنطقة الاولى ولانكلترا فى المنطقة الثانية حق الاولية فى المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا فى المنطقة الاولى وانكلترا فى المنطقة الثانية بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب ، بناء على طلب الحكومة العربية او حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية – يباح لفرنسا فى شقة سورية الساحلية ، ولانكلترا فى شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس ، انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة او بالوساطة ، او من المراقبة ، بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة – تنشا ادارة دولية فى فلسطين ، يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق من بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة .

المادة الرابعة – تنال انكلترا ما ياتي :

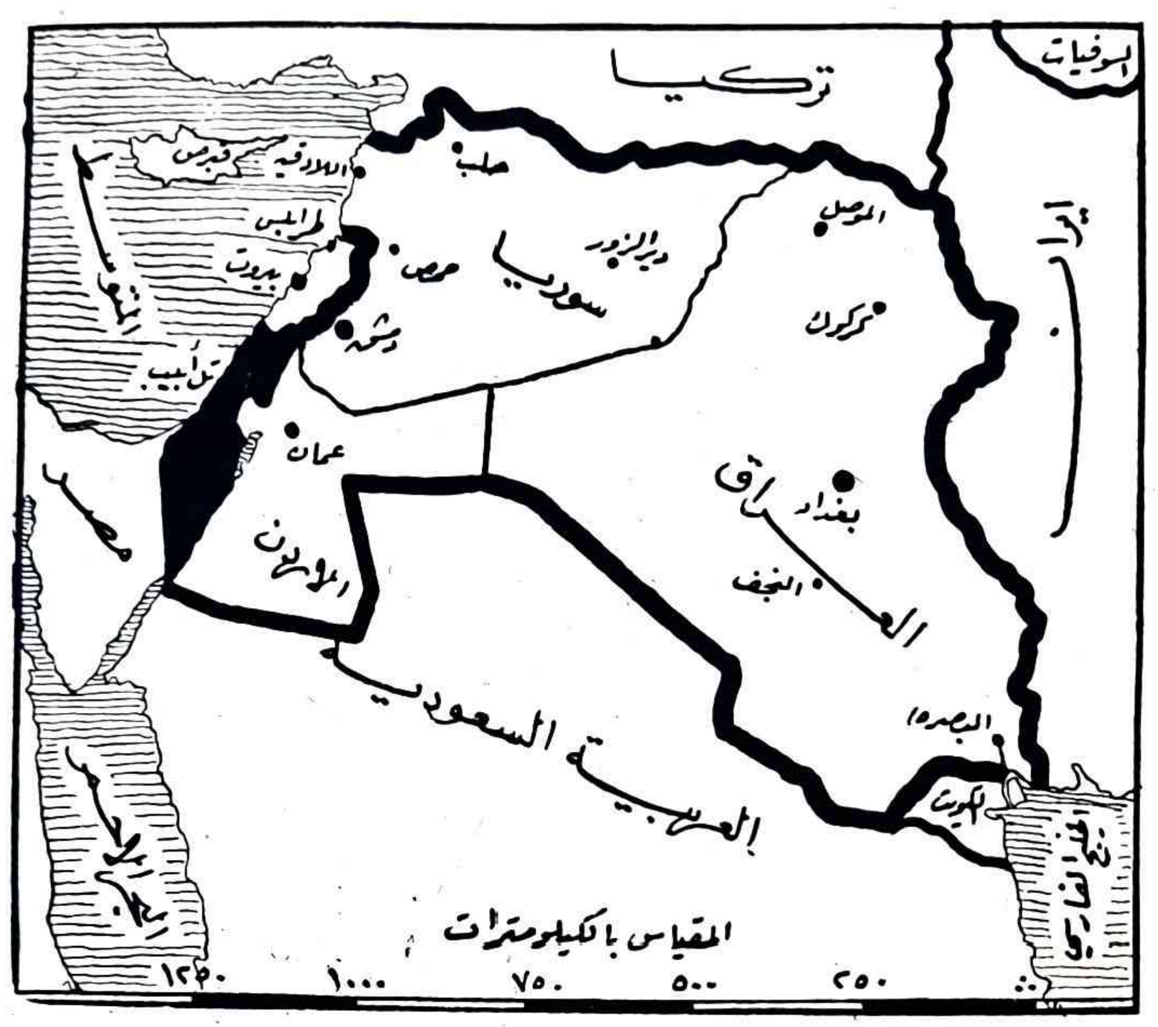
١ – ميناء حيفا وعكا

٢ – تتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بان لا تدخل فى مفاوضات مع دولة اخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدما .

المادة الخامسة – تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ،وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها .

المادة التاسعة – من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسوية لا تجري مفاوضة فى اي وقت كان للتنازل عن حقها ، ولا تعطى ما لها من الحقوق فى المنطقة الزرقاء (اي شقة سوريا الساحلية) لدولة اخرى سوى للدولة العربية او حلف الدول العربية بدون ان توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك ، التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا فى ما يتعلق بالمنطقة الحمراء (العراق)

المادة العاشرة – تتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على ان لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك اقطارا فى شبه جزيرة العرب او تنشىء قاعدة بحرية فى الجزائر



تبدو هذه الخريطة الحدود التي ابتدعها الاستعمار فى الهلال العربي الخصيب ، بعد تعديل اتفاق « سايكس – بيكو » . ويشير الخط الاسود الغليظ الى نطاق الدولة التي يمكن ان تنشأ عن قيام اتحاد بين العراق وسوريا والاردن . البقعة السوداء تشير الى اسرائيل بحدودها الراهنة

على سائر البحر الابيض الشرقي . على ان هذا لا يمنع تصحيحا فى حدود عدن قد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الاخير .

المادة الحادية عشرة – تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة او حلف الدول العربية .

***

ما ان انتهت الحرب ، حتى شعر الانكليز بان اتفاق سايكس – بيكو لم يعد في صالحهم ، ولا يتفق مع الاحوال التي نشأت في الشرق الادنى بنهاية الحرب ، فقرروا ان يعدلوه .

وشعر الفرنسيون بما يضمره الانكليز ، فسافر رئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو في كانون الاول سنة ١٩١٨ الى لندن لكي يقنع لويد جورج بتحويل ذلك الاتفاق الى معاهدة رسمية ، قبل ان يصل الرئيس ولسن من اميركا ، ويعارض الاتفاق بحجة انه مناقض للحريات الموعودة ، فيتفق رايه مع مصلحة الانكليز في الغاء الاتفاق .

بيد ان لويد جورج رفض اقتراح كليمنصو ، واجابه ان بريطانيا تعتبر الاتفاق ملغي منذ انهارت روسيا ،

احدى الدول الموقعة عليه، وانسحبت منـــــه .

وبعد جدل طويل ، فهم كليمنصو ان انكلترا لن تعترف بالاتفاق الا اذا ادخلت عليه تعديلا لمصلحتها . **وفعلا قال لويد جورج ان انكلترا مستعدة لان تعترف بحق فرنسا في سوريــا وكيليكيا ، ولكنها تطالب معه بمنطقة دخلت « خطأ » في منطقة النفــوذ الفرنسي ، وهي منطقة الموصــل ، كما انها تطالب بوضع فلسطيــــن باشرافها وحدها بدلا مــن اشراف الادارة الدولية .**

ورضي الفرنسيون بترك فلسطين كلها للانكليز ، ولكنهم رفضــــوا التنازل عن الموصل ، وعرضوا عليهم كيليكيا محلها ، فأبى لويد جــورج قبولها . **وانتهى الامر في ١٥ شباط ١٩١٩ بموافقة الفرنسيين على طلب الانكليز ، فتركوا لهم فلسطيــــن ، وتركوا لهم الموصل مقابل جزء مــن النفط فيها ، ومقابل نقلدير الزور من العراق الى سوريا ، وعلى ان يطلق لهم الانكليز يدهم في سوريا .**

في هذه الاثناء كان الامير فيصل يستعد لتأسيس المملكة العربية في دمشق ، وهو يجهل وجود هــــذه الاتفاقات بين الانكليز والفرنسيين ، معتمدا على الوعود المقطوعة في رسائل مكماهون .

وفــي ٨ اذار تأسست فــي سوريا المملكة العربية ضمن الحــدود المنصوص عليها . ولكن الانكليـــز خذلوه امام الفرنسيين اكراما لاتفاق سايكس ـ بيكو المعدل ، فأحتــــل الجنرال غورو سوريا بعد معركــة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠، وبذلك انهارت عهود مكماهون ، وارتد الملك الحسين الى قلب الجزيرة .

وشرع الانكليز والفرنسيون ينفذون اتفاق سايكس ـ بيكو بالقوة، فاخترعوا العوبة الانتدابات ، فيمؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٢ ، وقامت على اساسهــا حدود العراق وشرق الاردن وسوريا وفلسطيــــن ، ونبتــت هــــذه « الاستقلالات » !

هكذا ايها القارىء العربي ، ولدت دولتك ، وحدودك ، وقـام التوازن البريطاني ـ الفرنسي ، الذي يريدونه اليوم توازنا بين عرب وعرب ، ومــا هو الا صورة طبق الاصل عن ذلــك الماضي القريب !

اجل ، لقد قامت هاتيك الدويلات في هاتيك الكيانات ، ومـــا ان هبت عاصفة اسرائيل ، حتى تهاوت امامها، حتى قبل ان تقتحم غمارها .

ولعل سر قيام اسرائيل ونهوضها وبقائها كامن في تعدد هاتيك الكيانات، كأن اتفـــاق سايكس بيكو خطــط الوطن القومي اليهودي ، حين رسم هاتيك الحدود !

كامل مروه

ساطع الحصري

اسطورة الكيانات العربية

- ١ -

بين الواقع والخيال

ان اهم ما لفت نظري في كتابات المعارضين لفكرة الاتحاد ، هو استرسالهم في نعت الفكرة بالخيالية ، واسرافهم في الدعوة الى الواقعية .

انهم يقولون على الدوام ، ضمنا او صراحة : « هذا وهم ، وهذا خيال محال ، يجب ان نقلع عن السير وراء الخياليات ،يجب انكون واقعيين .. »

وانا اود ، قبل كل شيء ، ان أسأل هؤلاء المعارضين : ماذا يفهمون من الخيالية؟وماذا يقصدون منالواقعية ؟

لا شك في ان تمييز « الخيال »عن « الواقع » امر لا يحتاج الى بحث ونقاش ، ولكن التمييز بين ما يسمى بـ « الخيالية » وبين ما يسمى « الواقعية » ، يحتاج الى بحث جدي وتأمل عميق . وذلك لانه **اذا كان هناك خيالات محضة ، غير قابلة للتحقيق .. فان هناك خيالات خلاقة تسير قدما نحو التحقيق ..**

ويجب ان لا ننسى ان كثيرا من « واقعيات » اليوم ، كانت من « خياليات » الامس . ويجب ان لا نشك في ان كثيرا من « خيالات اليوم » ، قد تصبح من «الواقعيات» ، في الغد القريب او البعيد ..

وانا اقول بدون تردد : ان ما من اصلاح تم ، وتقدم حصل ، وما من نهضة قامت ، ورسالة انتشرت.. الا وقد كانت بدأت على شكل « مشروع » يتخيله بعض الاذهان، او مثل اعلى تصبو الى تحقيقه بعض النفوس .

ولو كان الناس كلهم واقعيين ، ـ بالمعنى الذي يقصده دعاة الواقعية في امر اتحاد البلاد العربية ـ ما كان تيسر للبشرية اي تقدم كان ، في اية ساحة من سوح الحياة السياسية والاجتماعية .

كل حركة تقدمية ، انما تبدأ بالخروج على الامر الواقع . وكل نهضة قومية ، انما تنشأ من العصيان على الوضع الراهن .

ولهذا السبب ، انا احذر المفكرين والكتاب من الاسراف في الحكم على الاراء بالخيالية ، ومن الاسترسال في الدعوة الى الواقعية ، فان صفحات التاريخ مليئة بحوادث ووقائع تبرهن على ان اكبر المفكرين واشهر الساسة لم يسلموا من الوقوع في اخطاء فاحشة ، في امثال هذه الاحكام :

ان كثيرين من رجالالقلم والسياسة، كانوا **زعموا ان « فكرة الوحدة الالمانية » من الاوهام التي لا يمكن**

« مقال الاسبوع » في العدد ١٦١٦ من « الحياة » الصادر في ١٢ اب ١٩٥١

ان ترى الوجود الا في مخيلة بعض الساسة ، واحلام بعض الشعراء .

ان زعماء حركة « السين فاين » الايرلاندية ، كانوا يتهمون ــ بوجه عام ــ **بالخيالية ، وبالبعد عن الواقعية،** في النضال الذي شنوه على حكم الامبراطورية البريطانية الجبارة .

وعندما قام مصطفى كمال ، لتخليص تركيا من كوارث التمزيق والاحتلال ، عارضه السلطان وحيد الدين ــ ومن التف حوله من الساسة المرجفين ــ **باسم ((الواقعية)) ، زاعمين بان الحروج على مقررات الدول المعظمة الظافرة ، انما هو ضرب من الانتحار .**

وانا لا ازال اذكر الان ، الحديث الذي سمعته ــ قبل نحو ثماني سنوات ــ في احدصالونات اوتيل سان جورج في بيروت ، بيناثنين من رجال السياسة السورية ، اذ قال احدهم للاخر ــ بتهكم شديد : **الا تزالون تمشون وراء الخيال فتشتغلون للاستقلال والمستقلال ؟**

اني استطيع ان اطيل هذه السلسلة من الوقائع البليغة ، كثيرا وكثيرا جدا . ولكني اعتقد ان هذه الامثلة وحدها تكفي للبرهنة على **ان الذين كانوا يسيرون وراء ما اعتبره البعض ضربا من « الوهم والخيال » ، انما كانوا اكثر فهما لحقائق الامور ، من معارضيهم الواقعيين .**

ولا اتردد في القول بان رب خيال يكون اشد حيوية من الواقع . لان « الواقع الحالي » كثيرا ما يمثل « الماضي البالي » ، في حين ان « الخيال الحالي » **قد يحمل في احشائه « الاستقلال الحقيقي » .**

وانا اعتقد ان فكرة العروبة والاتحاد العربي انما هي من احسن الامثلة على هذا النوع من « الخيال » .

ــ٢ــ

قصص ميلاد الدول العربية

لقد لاحظت ان بعض الجرائد حملت حملات شعواء على راي القائلين بان قيام دول عديدة في مختلف الاقطار العربية ، بعد الحرب العالمية الاولى ، انما كان نشأ عن مطامع الدول المستعمرة واتفاقاتها .

وقد زعمت الجرائد المذكورة :

اولا ــ ان سبب قيام هذه الدول هو الاختلاف الموجود بين طبائع اهاليها .

وثانيا ــ ان الدول المذكورة ليست الا امتدادا لكيانات قائمة من قديم الزمان .

فرأيت ان اناقش كل واحد من هذين الزعمين على حدة :

هل يوجد حقيقة بين الاقطار العربية المختلفة ، اختلاف جوهري في الطبائع ، يجعل من الضروري ان تقوم في كل واحد منها دولة مستقلة عن غيرها ؟

هل يوجد ــ مثلا ــ بين القطر السوري والقطر العراقي ، من الاختلاف ما يحتم على كل واحد منهما ، ان يكون دولة خاصة به ؟

اني لا اتردد في الاجابة على هذا السؤال بالنفي البات :

لقد قدر لي ان اعيش وان اعمل في كل واحد من هذين القطرين حقبة طويلة من الزمن ، وان اطلع على احوالهما الطبيعية والبشرية اطلاعا واسعا . وقد تجولت ــ خلال مدة تقرب من ثلث القرن ــ في جميع انحاء كل واحد منهما ، من اقصى

الشمال الى اقصى الجنوب ، من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، من اخصب الاراضي الى اقفر البوادي، وقد تنقلت مرارا في مختلف انحاء القطرين المذكورين ، ليس تنقل السائح العابر ، بل تنقل الباحث العامل ، **فاستطيع ان أؤكد استنادا الى ما لاحظته خلال هذه المدة الطويلة — انني لم اجد بين احوال القطرين اختلافا يفوق الاختلافات التي تشاهد عادة بين مختلف المناطق ، في كثير من الدول الاوروبية نفسها .**

لا شك في أن بغداد تختلف عن دمشق في كثير من الامور ، ولكن هل يوجد في العالم مدينة لا تختلف عن غيرها في غير قليل من الامور ؟ ثم ، اذا كان ثمة اختلاف بين بغداد وبين دمشق ، **افلا يوجد اختلاف مماثل لذلك، بل واشد من ذلك ، بين بغداد وبين المشتقات في العراق من ناحية ، وبين دمشق وبين دير الزور في سوريا من ناحية اخرى ؟**

ومما لا شك فيه ابدا، ان الموصل مثلا كانت — قبل ثلاثين عاما — اكثر اتصالا بحلب منها ببغداد ، واشد شبها بها .

واني لا ازال اذكر الانطباع الذي حصل في نفسي عند زيارتي الاولى الى الديوانية في العراق ، قبل نحو ثلاثين عاما : **لقد توهمت بانني لم اغادر حوران !**

كما أني لاازال اذكر الانطباع الذي حصل في نفسي ، عندما زرت دير الزور ، قبل سبعة اعوام : **لقد ظننت بانني عدت الى العراق !**

ولذلك كله ، اقول جازما : بان الفروق التي تذكر بين القطرين العراقي والسوري ليست من الفروق الجوهرية ، وهي لا تفوق كثيرا الفروق التي نشاهد بين مختلف الايالات الفرنسية — مثلا .

ولا اغالي اذا قلت انها تقل كثيرا عن الفروق القائمة بين ايالتي كالابريا ، ولومبارديا في ايطاليا .

هذا ، ويجدر بي ان اشير في هذا المقام ، الى الحقيقة التالية ايضا :

ان كثيرا من الفروق التي نشاهد الان بين احوال سوريا وبين احوال العراق ، انما نتج عن اختلاف نظم الحكم والادارة والاقتصاد والثقافة ، التي قامت في كل منهما ، منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى . وهي فروق سطحية وعارضية ، تتضاءل **وتتلاشى بسرعة امام التماثل الاساسي الذي لا يزال قائما بينهما .**

فلا يمكن ، والحالة هذه ، تعليل وتفسير نشوء هذه الدول العربية المختلفة ، بغير الرجوع الى مطامع الدول الاوروبية ، واتفاقاتها السياسية، ومحاولاتها الاستعمارية .

***

ان هذه الحقيقة تتجلى بوضوح اكبر — بل تصل الى حد البداهة — في امر نشوء المملكة الاردنية .

لماذا وكيف تكونت المملكة الاردنية، في هذه الرقعة الصغيرة من البلاد العربية ؟

انها كانت « متصرفية الكرك » في عهد السلطنة العثمانية ، ثم صارت « متصرفية السلط » في عهد الدولة العربية الاولى في سوريا .

واني ، بصفة كوني من المساهمين في تأسيس الدولة المشار اليها ، ومن المشتركين في تقرير كثير من الامور المتعلقة بالمتصرفية المذكورة نفسها ، أؤكد كل التأكيد انه ما كان يخطر ببال احد منا ، ولا ببال احد من

ساسة الدنيا كلها في ذلك التاريخ ، ان هذه المتصرفية ستصبح امارة ، ثم مملكة ، في يوم من الايام .

واني اتحدى جميع معارضي فكرة الاتحاد ، ان يذكروا لي مثالا واحدا ، يدل على ان استقلال هذه الرقعة من الارض بكيان سياسي خاص ، **كان موضوعا لطلب ، او مشروع اواقتراح، او تنبؤ .. قبل سنة ١٩٢٠ .**

ان تاريخ المسألة الشرقية بوجه عام ، وتاريخ مؤتمر فرساي بوجه خاص ، حافل بمشاريع كثيرة، تحوم حول احياء بعض الدول القديمة ، او احداث بعض الدول الجديدة .

لقد جمع احد ساسة الغرب تاريخ هذه المشاريع في كتاب قيم ، عنونه بعنوان « مائة مشروع ، لتقسيم تركيا » .

وقد تلقى مؤتمر الصلح الذي انعقد في فرساي، عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، عرائض ومطاليب كثيرة من مختلف الوفود الشعبية ، واقتراحات عديدة من مختلف الهيئات السياسية ، ووجد نفسه امام كمية هائلة من المطاليب والمشاريع الرامية الى تغيير الخرائط السياسية ، من احياء دولة بونتوس الى احداث دولة آشور .

ان كل من يستعرض صفحات تاريخ مؤتمر الصلح ، الحافل بشتى المطاليب والمشاريع ، لا يجد فيها اي اثر لطلب او اقتراح يتصل — من قريب او بعيد — باحداث دولة وراء الاردن .

كيف ، ولماذا اذن ، تكونت هذه الدولة في هذه البقعة من البلاد العربية ؟

لا يمكن لاي باحث كان — بعد ملاحظة الحقائق التي سردتها آنفا — ان لا يسلم بان السبب الاصلي في ذلك ، يعود — على وجه الانحصار — **الى السياسة التي اتخذتها بريطانيا لنفسها ، بعد تعديل اتفاقاتها مع فرنسا .**

ومعلوم لدى الجميع، ان المفاوضات التي جرت بين فرنسا وبين انكلترة لتعديل اتفاق سايكس بيكو انتهت الى :

موافقة فرنسا على عدم المطالبة بالموصل من ناحية ، وعلى ادخال فلسطين تحت الانتداب البريطاني من ناحية اخرى .

وموافقة انكلترة على منح فرنسا حصة من بترول الموصل من ناحية ، وعدم مطالبتها بمراعاة استقلال سوريا الداخلية من ناحية اخرى .

وكان من جملة الامور التي تم الاتفاق عليها بين الطرفين — خلال هذه المفاوضات والمساومات — ان يكون الحد الفاصل بين منطقتي نفوذهما ، خط يمر من جنوب درعا .

ولهذه الاسباب كلها ، عندما استولت فرنسا على سوريا، توقفت في درعا، ولم تتغلغل في جنوبها، تاركة حق التصرف في شؤون ذلك القسم من الدولة السورية المنقرضة ، الى منفقتها بريطانيا العظمى .

عندئذ ، وجدت انكلترة نفسها امام حلين لا ثالث لهما في تلك الظروف، لمعالجة الموقف الجديد : **اما الحاق تلك المنطقة بفلسطين ، او جعلها امارة منفصلة عن سوريا وعن فلسطين في وقت واحد .**

ولكن انكلترة كانت مرتبطة في فلسطين بوعد بلفور المشهور نحو الصهيونية . فلم تشا ان توسع حدود الوعد المذكور ، ورجحت لذلك ،

ان تجعل اراضي المتصرفية المذكورة وحدة سياسية ، منفصلة عن فلسطين ، ولو كانت تابعة الى المندوب السامي المقيم فيها .

انها رأت في الوقت نفسه ، ان المنطقة المذكورة صالحة لان تكون قاعدة ستراتيجية ، تستطيع ان ترسخ حكمها فيها دون ان تخشى مشاكل دولية ، او مطالب شعبية .

هذا هو السبب الاصلي ، الذي كون الامارة الاردنية فالمملكة الاردنية.

وهنا قد يسألني سائل : ولماذا لم تفكر انكلترا عندئذ في حل ثالث : وهو ربط الاردن بالعراق ؟

ولكني اعتقد ان جواب هذا السؤال يرتسم من تلقاء نفسه ، عند تذكر الاحوال السائدة في ذلك التاريخ :

اولا : ان طريق الصحراء ما كان معلوما ومفتوحا بعد . فان الاتصال بين الاردن وبين العراق ، ما كان يمكن ان يتم في ذلك الزمان ، الاعلى ظهور الجمال، عبر بادية الشام .

ثانيا : ان العراق كان عندئذ في بدء ثورته على الحكم البريطاني . فما كان من مصلحة انكلترا ان تفكر في ضم بلاد تستطيع هي ان تحكم شعبها بكل سهولة ، الى بلاد يثور شعبها عليها تلك الثورة العنيفة .

هذه هي الاسباب التي ادت الى تكوين الدولة الاردنية : اسباب **لا تمت بصلة ما الى مطاليب الشعب او خصائصه**، بل تحوم حول الاتفاقات الدولية ـ الفرنكوبريطانية ـ من ناحية وحول مصالح بريطانيا واتجاهات سياستها العامة من ناحية اخرى .

ـ٣ـ

اسطورة الكيانات الواقعية

لقد سردت احدى الجرائد نظرية جديدة لتعليل تعدد الدول العربية هي ما نستطيع ان نسميه نظرية « الكيانات الواقعية » حسب تعبير الجريدة نفسها .

اولا ، سألت الجريدة « لماذا كانت بلاد العرب منقسمة الى ولايات وسناجق وامارات ؟ » .

وبعد ذلك ، كتبت في مقالتين مختلفتين ـ العبارات التالية :

« كان طبيعيا ان تتدرج هذه الكيانات الواقعية في العالم العربي ـ التي كانت دائما سناجق وامارات وولايات (أي وحدات مستقلة) وتتجلى في دول مستقلة ، تمكينا لها من ان تعمل لمصالحها ... »

« ... الجوهر الذي تتميز به هذه الكيانات ـ الكيانات التي كانت امس ولايات وسناجق وامارات ـ لانها وحدات متمايزة متنوعة ، فصارت اليوم دولا مستقلة . »

يظهر من هذه العبارات ـ التي نقلتها بحروفها ـ ان الجريدة المذكورة خلطت خلطا غريبا بين الكيان المطلق وبين الكيان السياسي ، ولم تميز بين الوحدات الادارية والوحدات السياسية .

لا ريب في ان لكل شيء كيانا : لكل قرية ، لكل واد ، لكل مدينة ، لكل مديرية ، لكل قائمقامية ، لكل شيء كيان . **ولكن بين هذا النوع من الكيان وبين ما يسمى بالكيان السياسي بون شاسع جدا .**

اذا كانت الولايات والسناجق كيانات واقعية ... واذا كان من الطبيعي ان تتدرج هذه الكيانات الواقعية الى دول مستقلة ـ كما تقول الجريدة ـ يجدر بنا ان نسألها :

لماذا لم تتدرج جميعها الى الاستقلال ؟

ولماذا اندمج بعضها مع بعض في كيان سياسي واحد ؟

لماذا استقلت متصرفية الكرك - مثلا - ولم تستقل متصرفية دير الزور ، مع ان الاولى كانت تابعة الى ولاية الشام ، في حين ان الثانية كانت مستقلة عن الولايات ؟

ثم ، لماذا لم تستقل ولاية الموصل او ولاية حلب ؟ وفي الاخير ، لماذا لم تتحد ولاية الموصل مع ولاية حلب بل اتحدت مع ولاية بغداد ؟

ولماذا لم تكون متصرفية اللاذقية دولة مستقلة ، او لم تبق مرتبطة ببيروت ، كما كانت قبلا ؟

ولماذا تكونت محل ست ولايات ونحو عشرين سنجقا اربع دول فقط، مع ان جميع تلك الولايات والسناجق كانت من جملة « الكيانات الواقعية » على رأي الجريدة ؟

ولماذا توزعت سناجق ولاية بيروت بين ثلاث دول - اي ثلاث وحدات سياسية ؟

ولماذا اتحد سنجقان من سناجق ولاية سورية القديمة ، مع ثلاثة سناجق من سناجق ولاية حلب ، وسنجق من سناجق ولاية بيروت ، مع سنجق دير الزور ، لتكوين وحدة سياسية ؟

الم يكن كل ذلك ، دليلا قاطعا على **بطلان نظرية « الكيانات الواقعية »** التي تحاول تعليل تعدد الدول العربية بتدرج السناجق والولايات نحو تكوين دول مستقلة ؟

والى الاسبوع المقبل !

ساطع الحصري

ساطع الحصري

لم تكن التجزئة طبيعية ...

يحاول خصوم فكرة الوحدة والاتحاد ان يدعموا اراءهم بحجج تاريخية ، ويزعمون ان انقسام البلاد العربية الى دول عديدة ، عند انفصالها عن السلطة العثمانية ، كان من الامور الطبيعية ، بدليل ان امبراطوريات اخرى ايضا ولدت دولا عديدة .

وقد جاء في احدى مقالات الجريدة البيروتية التي اخذت على عاتقها مهمة « محاربة فكرة الاتحاد » العبارات التالية :

« كم دولة انشقت من الامبراطورية النمساوية مثلا ؟ نعرف مثل المانيا الذين يحبون دائما الاستشهاد به والتحجج . ولكن المانيا شعب موحد عنصرا ، وتاريخا ، وارادة ، ومصلحة » .

يظهر من ذلك ان الجريدة تود ان تستشهد بما حدث في النمسا ، وتنكر على دعاة الاتحاد الاستشهاد بما حدث في المانيا ، ولسان حالها يقول : ان النمسا هي التي تعطينا المثال الذي ينطبق على احوال البلاد العربية ، لا المانيا !

فيجدر بنا ان ندرس كل واحد من هذين المثالين اللذين تذكرهما الجريدة ، دراسة مستندة الى الحقائق التاريخية ، لنرى مبلغ صحة الاحكام التي استخلصتها الجريدة منهما .

مثال النمسا

من المعلوم ان اراضي الامبراطورية النمسوية توزعت ــ بعد الحرب العالمية الاولى ــ بين خمس دول ، ولكن يجب ان لا يغرب عن البال : ان هذا التوزع انما تم ــ بوجه عام ــ على اساس اللغات التي يتكلم بها السكان : **فقد انفصلت عن النمسا ، الشعوب التي تتكلم بلغات مختلفة عن لغتها ، واما الشعوب التي تتكلم بلغة واحدة ، فلم تنقسم الى دول عديدة ، بل اتحدت بعضها مع بعض ، ومع الشعوب المماثلة القاطنة خارج حدود الامبراطورية النمسوية فكل من دول بولاندا وتشيكوسلوفاكيا ، ويوغوسلافيا ، تضم الان بلادا كانت نمسوية واخرى كانت غير نمسوية .**

ونستطيع ان نقول لذلك : ان الامبراطورية النمسوية ، اذا اعطتنا ، من ناحية ، بعض الامثلة على الانفصال ، فانما تعطينا في الوقت نفسه ، **امثلة عديدة اخرى على الاتحاد . كما انها تعلمنا ان الاتحاد او الانفصال بين هذه الشعوب ، انما تم حسب الوحدة او الاختلاف بين لغاتها .**

« مقال الاسبوع » في « الحياة » ، العدد ١٦٢١ ، الصادر في ١٩ اب ١٩٤٨

ولاظهار هذه الحقيقة الى العيان بوضوح تام ، ارى ان اتوسع قليلا في بيان كيفية تكوين دولة من الدول التي « انبثقت عن الامبراطورية النمسوية » حسب تعبير الجريدة نفسها :

كانت في النمسا ثلاثة شعوب تتكلم بلغة سلافية خاصة تعرف باسم « السلافية الجنوبية » . هذه الشعوب هي : البوشناق ، والكروات والسلوفان . وكانت بلاد الكروات والسلوفان تؤلف ايالتين متمتعتين باستقلال داخلي واسع النطاق : كان لكل منهما مجلس تمثيلي خاص بها ، يعرف باسم الـ « دييت » ، ويتمتع بسلطات تشريعية هامة .

ومع هذا ، نجد ان هذه الايالات الثلاث لم تؤلف — عند انفصالها عن النمسا — ثلاث دول مستقلة بعضها عن بعض ، **بل انها اتحدت فيما بينها من ناحية ومع مملكتين مستقلتين عن النمسا من ناحية اخرى . هاتان المملكتان ، هما مملكة الصرب ومملكة الجبل الاسود . وتكونت بذلك دولة واحدة ، جمعت تحت راية واحدة ، سكان الايالات النمسوية الثلاث ، مع سكان المملكتين المذكورتين .**

وقد تم تكوين هذه الدولة الموحدة ، مع ان الايالات المذكورة **كانت تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق ، ومع انه كان على رأس كل واحدة من المملكتين المذكورتين اسرة مالكة قديمة ،** اشتهرت احداها بكثرة الروابط التي تربطها بالاسر المالكة الاوروبية ، عن طريق القرابة او المصاهرة .

اتحدت هذه الوحدات الخمس ، وكونت دولة موحدة ، سميت في بادىء الامر باسم طويل ، يجمع اسماء الشعوب المكونة لها : الدولة العربية الكرواتية السلوفانية. ولكنها بعد مدة ، رجحت ان تختصر هذا الاسم وتستبدله باسم **يدل على « اللغة الجامعة » بين هذه الشعوب . فسميت لذلك باسم الـ « يوغوسلافيا » بمعنى « السلافية الجنوبية » .**

ولا شك ان يوغوسلافيا التي تكونت في نفس الوقت الذي انفصلت فيه الولايات العربية عن الدولة العثمانية ، **اذ اصبحت الان من الدول القوية التي تحسب لها جميع الدول حسابها ، واذا استطاعت ان تقوم بدور خطير بين الكتلتين الغربية والشرقية ، فان الفضل في ذلك يعود — في الدرجة الاولى — الى انها دولة موحدة ، جمعت ابناء اللغة الواحدة ، ووجهت اعمالها واعمالهم نحو غاية واحدة .**

ويظهر من كل ما تقدم ، ان تاريخ يوغوسلافيا يضع امام انظارنا حادثين متعاكسين ، حدثا في وقت واحد : حادث انفصال من ناحية ، وحادث اتحاد من ناحية اخرى **انفصال عن الايالات النمسوية التي يتكلم سكانها لغة غير اليوغوسلافية ، واتحاد بين الايالات والممالك النمسوية وغير النمسوية — التي يتكلم سكانها اللغة المذكورة .**

ويتبين من كل ذلك ، بكل وضوح وجلاء : ان مثال « الدول المنبثقة عن الامبراطورية النمسوية » **بعيد كل البعد عن تأييد رأي القائلين بان انقسام البلاد العربية الى دول عديدة — عقب انفصالها عن السلطنة العثمانية — كان من الامور الطبيعية.**

فاني اقول بلا تردد : ان من يقصر النظر ، امام هذه الوقائع التاريخية والاجتماعية المفصلة ، على صفحاتها الانفصالية دون ان يلاحظ

الصفحات الاتحادية التي ترافقها يبقى غافلا عن حقائق التاريخ والاجتماع ، **ويعرض نفسه الى اخطاء فادحة جدا ، في امر تقدير دلالة هذه الوقائع التاريخية ، بالنسبة الى العالم العربي الذي نعيش فيه الان .**

كما ان من لا يلاحظ الدور الخطير الذي قامت به **اللغات** في التاريخ الحديث لا يستطيع ان يفهم سير هذا التاريخ على وجهه الصحيح .

نعم ، كان من الامور الطبيعية ان تنبثق عن السلطنة العثمانية – في الادوار المختلفة من تاريخها الحديث – دول عديدة ، مثل اليونان ، وبلغاريا ، ورومانيا ، والبانيا ... **نظرا لاختلاف سكانها – ولكن ما كان من الطبيعي ابدا ان تنبثق عنها دول عربية عديدة ، مثل العراق وسوريا والاردن ، مع وحدة لغاتها .**

ولذلك اكرر في هذا المقام ، ما كنت قلته سابقا : ليس في استطاعة اي باحث كان ان **يعلل نشأة الدول المذكورة ، دون ان يرجع الى اطماع الدول الاستعمارية واتفاقاتها السياسية .**

مثال المانيا

واما مثال المانيا ، فهو ايضا بعيد عن تأييد مزاعم الجريدة بعدا كبيرا : فلننعم النظر في الوقائع والحقائق قليلا !

يقولون في سياق الرد على دعاة الاتحاد ، في استشهادهم بالوحدة الالمانية : « ولكن المانيا شعب موحد عنصرا وتاريخا وارادة ومصلحة » .

ويجدر بنا ان نسألهم في هذا المقام : **متى كان الشعب الالماني موحدا في التاريخ اكثر من الشعب العربي ؟**

والادارة الموحدة التي يشيرون اليها ، متى تكونت ، ومتى ظهرت الى عالم الوجود ؟

والمصلحة الموحدة التي يذكرونها ، متى اصبحت من الامور المسلم بها ، في المانيا وفي خارج المانيا ؟

هل كان ذلك كله ، قبل سنة ١٨٧٠ ؟

يشهد التاريخ بأعلى صوته ان المانيا كانت منقسمة الى دول ودويلات **كثيرة وكثيرة جدا ، وان هذه الدول والدويلات كانت متخالفة ، ومتنافسة ، ومتنابذة ، وكان عددها يزيد على الثلاثمائة حتى اواخر القرن الثاني عشر ، وكان يبلغ تسعا وثلاثين ، سنة ١٨٧٠**

وكان على رؤوس هذه الدول ، مئات من الأسر المالكة ، تتمتع بحقوق تاريخية من مراتب ودرجات مختلفة ، منذ القرون الوسطى .

وشعوب هذه الدول ايضا كانت بعيدة عن الشعور بالوحدة القومية . هذا كان يعتبر نفسه بروسيا ، لا يفتخر بشيء غير البروسية ، وذلك يشعر بانه بافاري ، لا يسوغ له ان يقدم شيئا على البافارية ، وهكذا ، كان هذا فرنكونيا ، وذلك ساكسونيا ، هذا هسيا وذلك بومرانيا ، الى اخر ما هنالك من الاسماء ، والنعوت التي تدل على الدول والشعوب ، وكان كل واحد من الالمان ، ينتسب الى دولة خاصة من هذه الدول الكثيرة ، والى وطن خاص من هذه الاوطان العديدة ، ولا يشعر بوجود وطن عام يعلو هذه الاوطان .

وكان رجال السياسة ، في هذه الدول المختلفة ، **يقولون على الدوام بوجوب المحافظة على الاوضاع الراهنة ، وذلك تماما ، كما يفعله خصوم الاتحاد العربي الذين يعيشون بيننا الان !**

وكانت المنافسات قائمة على قدم وساق ، **بين مختلف الملوك والامراء ، بمقياس اوسع بكثير من التي قامت في البلاد العربية ، في السنين الاخيرة .**

وكان « حفظ التوازن » بين بعض الاسر المالكة من اسمى غايات الساسة الواقعيين .

وخلاصة القول : ان وحدة الامة ، ووحدة الوطن ، بل كل ضروب الوحدة كانت بعيدة عن الاذهان وعن النفوس .

ووحدة المصلحة ايضا ، كانت من الامور التي لا يدركها احد من رجال الحكم والسياسة ، ولا يسلم بها احد من الملوك والامراء ، في اوائل القرن التاسع عشر .

انها كانت تصطدم على الدوام بمقاومة اصحاب المصالح الاقليمية ، ومزاعمهم التقليدية ، ولم تستطع ان تتغلب على هذه المزاعم وتلك المقاومة الا بعد جهود شاقة ، **بذلها جيل من القوميين ، في مختلف الاقطار الالمانية . جهود شاقة ، استمرت عدة عقود من السنين ، لاقناع رجال السياسة ورجال الاقتصاد شيئا فشيئا ، في مختلف الدول الالمانية .**

واما وحدة الارادة ، فهي ايضا **كانت من الامور التي لا وجود لها في المانيا . انها لم تظهر الى عالم** الوجود ، وتسيطر على النفوس **الا بعد مناقشات عنيفة ، ومعارضات شديدة ، وتجارب مريرة ... استنفدت جهود الكثيرين من رجال الفكر والسياسة ، المؤمنين بوحدة الامة الالمانية ــ وعرضتهم الى شتى ضروب الانتقادات والاتهامات ، من الاستسلام الى الاحلام ، والغفلة عن مصالح البلاد ، الى خيانة الاوطان .**

ان كل من يدرس تاريخ الوحدة الالمانية بشيء من التفصيل ، يجد بين صحائفه كثيرا من المناقشات التي تشبه تمام الشبه ، المناقشات التي تجري في يومنا هذا ، في مختلف اقطار العالم العربي حول قضايا الاتحاد ، **ويعثر على كثير من الحجج والبراهين التي تماثل تمام المماثلة الحجج والبراهين التي يتسلح بها خصوم هذا الاتحاد في هذه الايام .**

واما الذين يدعون الان بان احوال العرب لا يمكن ان تقاس باحوال الالمان ، لان « المانيا شعب موحد تاريخا ومصلحة وارادة » .. فانهم اذا برهنوا على شيء ، فانما **يبرهنون على انهم لم يطلعوا على تاريخ وحدة المانيا اطلاعا كافيا !**

فخير لهم ان يكفوا عن محاولة استعمال امثال هذه الاسلحة التاريخية التي ترتد عليهم ، وتجرح آراءهم في الصميم .

فوائد ومضار

ان اغرب وابدع ما قراته من المزاعم في المقالات التي نشرها خصوم « فكرة الاتحاد » هو نظريتهم القائلة بفوائد التجزئة ومضار الاتحاد .

نعم ، انهم يقولون ذلك ، ليس في مقام الهزل والتهكم ، بل بكل جد ووقار . انهم يريدون ان يقنعوا قراءهم بان « التجزئة تفيد البلاد العربية فوائد كبرى ، واما الاتحاد او الوحدة ، فانها تضر العرب ابلغ الاضرار » .

واما برهانهم الاساسي على ذلك ، فيتلخص بما يلي :

ان الدول الصغيرة تضمن مصالح

الشعوب وتساعد على تنمية امكانياتها ، اكثر من الدول الكبيرة . واما ما هو شائع في الاذهان من ان القوة بالوحدة او الاتحاد ، فيجب ان لا يؤخذ على علاته . لان المثل المذكور « لا يحدد مدى الوحدة ولا عدد المتوحدين » فأولى به « ان ينطبق على اصغر عدد واضيق مجال » .

وهم يريدون ان يقولوا بذلك : ان الاتحاد يكون قوة داخل كل دولة من الدول العربية على حدة . ولكنه لا يكون قوة ، اذا ما خرج خارج حدود هذه الدول ، وشمل اثنتين او اكثر منها .

انهم يكررون هذه النظرية في عدة مواضع من كتاباتهم بعبارات صريحة :

« يسهل العمل ويعمق ، ويعطي النتائج المجدية ، كلما انحصر مجاله، وضاق » .

انهم يقولون ذلك ، ولكنهم لا يسيرون مع مقتضيات قولهم هذا الى الاخير ، ولا يقولون لنا : لماذا يتوقفون في هذا المضمار عند حدود الدول القائمة ، **ولا يقترحون تجزئة هذه الدول ايضا الى اجزاء اصغر فاصغر ، طالما يزعمون بان النتائج تكون اجدى ((كلما انحصر المجال وضاق)) ؟**

ومع هذا ، نحن نكتفي هنا ، بتسجيل قولهم بان الخير كل الخير للبلاد العربية ان تبقى منقسمة كما هي الان ، لكي تنمي امكاناتها تنمية تامة ، وننتقل الى النظر في الدليل الواقعي الذي يذكرونه للبرهنة على صحة قولهم في هذا المضمار .

هذا الدليل — فى نظرهم — هو المملكة الاردنية .

فيجدر بي ان انقل فيما يلي نص العبارات التي سردوا بها هذا الدليل الباهر ، بصراحة ما بعدها صراحة :

« هذه الاردن ، مثلا استطاعت — لانها دولة مستقلة — ان تنشىء جيشا ، ما كان ينشأ لو ان الاردن بقيت محافظة سورية ، او راحت تمد في مساحة العراق ، وتزيد في عدد سكانه » .

اعترف بانني كدت اشك في صحة رؤيتي ، عندما قرات هذه العبارات للمرة الاولى ...

انهم يعلنون اغتباطهم لبقاء الاردن مستقلا عن سوريا وعن العراق .. لان هذا الانفصال والاستقلال ادى الى تكوين هذا الجيش الذي يعرف باسم ((الجيش العربي)) !

ولكن ، هل فاتهم ان الجيش الذي يعنونه يعمل تحت امرة قواد وضباط من الانكليز ، ويعيش بالاعانة السنوية التي تتفضل بها بريطانيا العظمى على هذه الدولة الصغيرة ؟

وهل يظنون ان الاستقلال عن سائر البلاد العربية ، اهم واجدى من الاستقلال عن السيطرة البريطانية ؟

وهل يعتقدون ان الاستغناء عن مساعدة سائر البلاد العربية ، **اهم واكرم من الاستغناء عن الاعانة التي تقدمها دولة غير عربية ؟**

اني اكتفي بتدوين هذه الاسئلة واترك اصحاب هذه النظرية يفكرون فيها ، ما وسعهم التفكير ، لكي يتثبتوا من قوة البرهان الذي طلعوا به علينا، لاثبات نظريتهم البارعة .

***

ولكن خصوم الاتحاد العربي لا يكتفون بذكر فوائد التجزئة وتمجيد

خيراتها ، بل انهم يسترسلون بعد ذلك ، في تعداد مضار الاتحاد ايضا :

« ان الاتحاد يحول دون تنمية الامكانيات ... انه يؤخر الشعوب عن تحقيق مصالحها ... انه يؤدي الى افقار الجميع .. »

انهم يقولون ذلك بعبارات صريحة دون ان يروا لزوما لتأييد مزاعمهم هذه ببراهين واقعية .

واما انا ، فسأتبرع باتمام ما تركوه ناقصا في هذا المضمار ، وسأذكر سلسلة امور تتمشى مع منطق هذه المزاعم :

منها : ان مدينة روما ، انقطعت عن التقدم ، بعدما فقدت الاستقلال الذي كانت تنعم به حتى سنة ١٨٧٠ فاندمجت في المملكة الايطالية ..

ومنها : ان مدينة جنيف لم تستطع ان تنمي جميع امكانياتها ، بل تأخرت كثيرا في مضمار الرقي ، منذ انضمامها الى الاتحاد السويسري .

ومنها : ان مدينة هامبورغ انحطت الى دركة ميناء من موانىء الدرجة الثالثة بل الرابعة ، منذ تنازلت عن استقلالها ، وانضمت الى الاتحاد الالماني ..

اني لا اريد ان اطيل هذه السلسلة ، واقول بلا تردد : ان ما يزعمه خصوم الاتحاد في هذا المضمار لا يصلح الا اذا صحت الوقائع التي ذكرتها آنفا .. بعد ان اختلقتها اختلاقا ، مخالفا بذلك ، كل الحقائق الراهنة مخالفة تامة .

***

ولكن جعبة خصوم الاتحاد مملوءة بسهام مسمومة اخرى ، يحاولون ان يصيبوا بها فكرة الوحدة والاتحاد في الصميم :

ان الاتحاد او الوحدة ، تضر البلاد العربية لانها :

١ — تؤدي الى توسيع نطاق الاقطاعيات .

ب — تساعد على ترسيخ اقدام الاستعمار .

ج — تسبب تفشي الشيوعية في البلاد .

واليكم البعض من الفقرات التي تسرد هذه المزاعم ، وتوضحها بعبارات صريحة :

« المصلحة العليا تقضي بتوطيد الاوضاع الراهنة ..

« ... ان الاتحاد (كل اتحاد) لن يكون له ومنه سوى نتيجة واقعية واحدة ، وهي ازدياد نفوذ عائلة (ايا كانت) في وجه عائلات ، وتكبير دولة على حساب دول .

« ونحن نرى ان ذاك الاتحاد ، وكل اتحاد ، سيكون له نتيجة واقعية اخرى ، وهي وحدها التي يجب ان يحسب حسابها : تؤخر الشعوب عن تحقيق مصالحها ، فضلا عما تنتجه من فسحة لمصالح الاستعمار .. »

« .. ان مكافحة الشيوعية ، ليست ممكنة في الشرق الادنى ، الا اذا بقيت الاوضاع الدولية الراهنة . لان كل اتحاد او وحدة ، يؤدي حتما الى بسط اقطاعية شديدة ، تكمن فيها المحاذير التي تستدعي الشيوعية وتوابع الشيوعية .. »

اني لم انقل هذه الفقرات ، لكي ارد عليها ، لاني اعتقد بانها في غنى عن كل رد وتعليق .

انما نقلتها ، ليرى القراء كيف يستميتون في الدفاع عن الاوضاع القائمة ، وكيف يتخبطون في التماس الوسائل التي قد تساعد على تبعيد «خطر الاتحاد» عن جميع البلاد العربية .

ساطع الحصري

كامل مروه

بعد الكارثة : مشاريع التوحيد والتحالف

— ١ —

ابجد هوز

(العدد ٧٨٦ فى ٧ كانون اول ١٩٤٨)

فى السياسة ، كما فى الابجدية « ابجد وهوز وحطي » . فاذا جردت الكلم من تركيبه ، عدت به الى الابجدية ، واذا جردت السياسة من ملابساتها عدت بها الى اسس مبدئية بسيطة !

تعالوا نجرد اليوم السياسة العربية ، من ملابساتها : من الاعتبارات الهاشمية ، والعلوية ، والسعودية . من مشاريع التكبير والتصغير ، من النزعات الاقليمية والتوسعية .

لنجرد القضية من هذه الحواشي كلها ، ولننظر اليها على ضوء « الامر الواقع » : واقع حياتي وحياتك ، واقع السلامة ولقمة الخبز ، وهو خير واقع !

نحن الان في هذا الشرق سبع دول عربية تجابه دولة يهودية ، قامت قسرا في وسط اراضينا . وليسمح القارىء الا اضع الدولة اليهودية بين هلالين هذه المرة ، فقد كفانا تجاهلا للمصيبة !

هذه الدولة اليهودية ، استطاعت ان توجه الضربات بصورة متتابعة الى معظم الدول العربية ، الواحدة تلو الاخرى ، دون ان تهب اية دولة منها لنجدة الاخرى . وكان ذلك دليلا على امرين : مقدرة اليهود على سحقنا دولة دولة ، وعجزنا عن الاتفاق بعضنا مع بعضنا الاخر كدول !

عند هذا الحد يقف الان « الامر الواقع » في الشرق العربي ، وما عداه ثرثرة وتدجيل ، فهل نستطيع ان نبني مستقبلنا على اساس ؟

وهل نضمن لانفسنا ولاولادنا لقمة الخبز بواسطته ؟

الجواب على ذلك سلبي ، لان استمرار هذا « الامر الواقع » سيؤدي بعد سنوات قليلة الى تثبيت الدولة اليهودية كالدولة الاقوى والاغنى في الشرق العربي ، تحكمه وتتحكم فيه — وفي لقمة خبزك وخبزي — كما تشاء !

فكر ايها القارىء في هذه الحقائق ، ولعلنا نلتقي غدا في اختيار الحل الافضل للخروج بانفسنا من هذا المأزق .

لقد دفعني الى طرق الموضوع بهذه الصراحة كثرة الرسائل التي تواردت علي من القراء خلال الايام

سلسلة من الافتتاحيات ، ظهرت فى جريدة « الحياة » من العدد ٧٨٩ ، الصادر فى ٧ كانون الاول ١٩٤٨ ، الى العدد ٨٠٥ ، الصادر فى ٢٥ كانون الاول ١٩٤٨

الاخيرة ، بمناسبة تعليقاتي على حوادث سوريا ، فالى الغد اذن !

– ٢ –

حرير الطمانينة

(العدد ٧٩٠ ، في ٨ كانون الاول ١٩٤٩)

لنتابع اليوم درس « ابجدية » السياسة العربية ، بعد ان دخلنا امس في المقدمات .

وانني اتوجه بكلامي هذا الى ابناء الجيل الطالع بصورة خاصة .

اما الذين يبس عودهم على الاقليمية ، وتركزت عقليتهم على حب الكراسي والمناصب ، وارتبط ولاؤهم بمصلحة تطغى على الفكرة ، فانني لا اضيع الوقت في مخاطبتهم . انهم يعيشون في عالم غير هذا العالم . ولو كان تفكيرهم مستوحى من حقائق الوضع ، لما كان مستقبلنا رهن ارادة اليهود !

قلنا امس ان « الامر الواقع » الحالي يجعل العرب تحت رحمة اليهود . وسنشعر بوطأة هذه « الرحمة » حالما تنتهي المجادلات العقيمة الدائرة في الامم المتحدة ويستقر الامر لليهود بصورة طبيعية .

واذا كان رجلا لبقا كرياض الصلح ، اضطر ان يعلن من على منبر الامم المتحدة ان متاخمة اليهود للبنان تفرض عليه البحث عن دولة كبرى تضمن سلامته ، فذلك يعني ان الحبل اصبح فعلا في اعناقنا ، وان سلامتنا اضحت اثرا بعد عين !

اذن ما العمل ؟ كيف ندفع خطر اليهود اليوم ، وغدا ، وبعد خمس سنين وبعد ربع قرن ؟

هناك وسيلتان لا ثالثة لهما :

اولا – انشاء دولة عربية كبرى في جناح الهلال الخصيب لكي تستطيع – مع الجناح المصري – مجابهة الدولة اليهودية التي تزداد قوة وعدة وعددا يوما بعد يوم .

ثانيا : – الارتباط بتحالف غايته الاولى ، تذليل العقبات الاجنبية التي تمنع قيام تلك الدولة الكبرى ، وتزويد هذه الدولة بالسلاح والعتاد، اذ ان عدونا يتابع التسلح بلا انقطاع، ونحن عاجزون وحدنا عن مجاراته .

ولقد عالجت هاتين النقطتين مرارا قبل اليوم ، وفي مناسبات كثيرة ، بيد ان الحميات التي تعصف اليوم بالشعوب العربية ، وقد تجلى اثرها الاول في سوريا ومصر ، تدفعني الى الرجوع الى الموضوع مرة اخرى ، اذ لا يجوز ايهام الناس ان قضية فلسطين انتهت بهذه النهاية ، وان سلامتنا التي كانت معرضة للخطر قبل ١٥ ايار اصبحت الان مضمونة ، واصبح في استطاعتنا ان ننام على حرير .

ان حرير الطمانينة الذي ننام عليه الان يشبه كثيرا الحرير الذي كان ينام عليه قبلنا ابناء حيفا ، ويافا ، فاذا بهم يفقدون كل شيء في ٢٤ ساعة .

هذا هو المصير الذي ينتظرنا اذا اعتبرنا قضية فلسطين منتهية ، وعدنا الى صغائر السياسة المحلية .

– ٣ –

ارقام تتكلم

(العدد ٧٩١ ، في ٩ كانون الاول ١٩٤٨)

ها نحن نستانف موضوع الامس ، فنتناول فكرة الدولة العربية الكبرى في الهلال الخصيب . واذا كانت تجارب الامس قد اوحت بتلك الفكرة ، فان حوادث اليوم تدعمها وتعززها ، وتقضي بالعمل السريع في سبيلها .

لماذا يحتاج العرب اليوم الى دولة كبرى في الهلال الخصيب ؟ الجواب على ذلك قائم في الدولة اليهودية نفسها . ان هذه الدولة تضم الان مليون يهودي تقريبا من حيث عدد الانفس ، ولكنها في الواقع تعد مليونين او ثلاثة . ذلك ان اليهود لا يستقدمون الى فلسطين الكهول والعجز ، بل الفتيان والشباب . وعلى هذا فان نسبة الجيل العامل فيهم ٣٠ — ٤٠ بالمئة من المليون ، بينما لا تزيد النسبة نفسها في الشعوب العربية عن ١٠ — ٢٠ بالمئة .

ولا شك في ان اليهود سيوالون استقدام فئات الشباب من مهاجريهم بالنسبة ذاتها ، فاذا بلغ سكان الدولة اليهودية الثلاثة ملايين ، كما يتوقعون في العام ١٩٥٥ ، فان قوتها الرجالية تعادل عندئذ قوة دولة عادية مؤلفة من عشرة ملايين .

ادركت ايها القارىء موضع الخطر في سياسة الهجرة اليهودية ؟

ان عدد الشعوب لا يقاس في ميادين الانتاج والجهد بعدد النفوس ، بل بعدد النفوس العاملة، التي يتراوح سنها بين ١٥ و ٤٥ سنة . والمفروض ان تبلغ نسبة كل عقد في كل شعب ١٥ بالمئة من مجموعه ، الا في الدولة اليهودية حيث تستهدف سياسة الهجرة استقدام الشباب العاملين المحاربين قبل سواهم من عناصر الشعب ، فانها تبلغ ٢٥ — ٣٠ بالمئة في فئات الشباب .

كان عدد اليهود في ١٥ ايار يقارب السبعمئة الف نسمة . وكان مفروضا ان نجد فيهم مئة الف رجل وامرأة في العقد الثاني ، ومثل ذلك في العقد الثالث ، ومثله في العقد الرابع ، فاذا بالمئة الف في كل عقد تنكشف عن ماية وخمسين الفا ، بل حتى ومايتي الف ، بينما يهبط الرقم في الاقطار العربية الى الحد العادي .

بعد هذا يستطيع القارىء ان يدرك معنى قيام دولة يهودية تعد اربعة ملايين ، اذ تتضمن هذه الدولة من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية وللعمل والانتاج ما تتضمنه اية دولة اخرى تعد ٨ — ١٠ ملايين .

ماذا تفعل كل دولة عربية على حدة امام هذه الدولة اليهودية ؟ كيف تقف في وجهها ؟ وكيف تجاريها في النمو ؟

الا يكفي هذا التفاوت في ممكنات التزايد لتبرير قيام الدولة العربية الكبرى في اسرع ما يكون ؟

— ٤ —

لا قوة بلا اتحاد

(العدد ٧٩٢ ، في ١٠ كانون اول ١٩٤٨)

لا شك انك ادركت ايها القارىء من مقال الامس ان قوة الدولة اليهودية بعدد سكانها الحاضر ، تعادل من حيث الرجال الصالحين للعمل والانتاج والحرب قوة سوريا او العراق ، اي ان المليون اليهودي هم — تقريبا — اغنى بالشباب من الاربعة ملايين عربي في العراق او في سوريا . فاذا استمرت هذه النسبة بالتزايد ، وهي مستمرة حتما ، فان الدولة اليهودية ستصبح في سنة ١٩٥٥ بمستوى سوريا والعراق والاردن مجتمعة !

هذه الحقيقة تطغي على كل حقيقة. انها حقيقة اللحم والدم ، ولا سبيل الى المغالطة فيها او الى تجاهلها ، انها وحدها تبرر قيام دولة عربية كبرى تقف سدا في وجه الدولة

اليهودية ، وتتحين الفرص للايقاع بهـا .

ولكن كيف تقوم هذه الدولة ؟ هنا تمد شهوات الحكم راسها كالافاعي ، وهنا تقف الانانيات سدا حائلا بين الصالح العام والصالح الخاص ، وهنا يصبح أبناء البلاد اعداءها ، بل اشد عداوة لها من اليهود .

ذلك ان اليهودي يخدم عقيدته اذا حال دون تضامن العرب وتعزيز قواهم ، اما العربي الذي يمنع اتحاد العرب لمصلحته ، فهو مجرم ، قولا وعملا !

ان موضوع الاتحاد بين الاقطار العربية شائك جدا ، يصعب بحثه دون ان يتعرض الباحث للنقد والشكوك . ومما يزيد هذا البحث صعوبة وجود مشاريع اتحادية مطروحة على بساط الجدل في الوقت الحاضر ، بحيث تتلابس شهوات الحكم مع النيات الحسنة والغايات المخلصه .

على ان ذلك لن يمنعنا من خوض هذا البحث بالصراحة التي اتصفت بها هذه الزاوية من « الحياة » في اشد الازمات حرجا . والقراء يدركون ، ولا ريب ، ان كل راي تحمله هذه السطور ، انما هو صادر عن عقيدة عامة ، لا تعرف الحزبية ولا المحاباة ولا تخدم الا الفكرة المثالية في نطاقها العملي .

على ضوء هذا التوجيه ، سنبحث ابتداء من الغد مشاريع التوحيد القائمة ، وهي ، الاتحاد الاردني ـ الفلسطيني ، سوريا الكبرى ، الاتحاد السوري ـ العراقي .

ان خلاص العالم العربي من الاستعمار الصهيوني ، الذي يفرض علينا نفسه مع استعمار غربي اخر ادهى منه ، قائم في مشاريع التوحيد، فلا تبديل الوزارات ، ولا تغيير الرجال ، بل حتى ولا توحيد القيادات ، يستطيع بعد اليوم انقاذنا من الاستعباد الجديد الذي وقعنا فيه . فاما حلا طبيعيا واما ان نصبح بعد خمسة اعوام على الاكثر دويلات هزيلة الى جانب دولة صهيونية قوية تهدد العالم العربي وتشرف منه على الغرب ، وعلى الشرق سيدة !

ـ ٥ ـ

فلسطين ـ الاردن

(العدد ٧٩٨ ، في ١٧ كانون اول ١٩٤٨)

وقفنا في مقال الامس عند المشاريع المطروحة على بساط البحث ، وفي مقدمتها : الاتحاد الاردني ـ الفلسطيني ، سوريا الكبرى ، الاتحاد السوري ـ العراقي. وها نحن اليوم نستأنف البحث فيها .

هل الاتحاد الاردني ـ الفلسطيني « مشروع جديد » فعلا ؟ ان الجواب على هذا السؤال يختلف باختلاف وجهة النظر اليه . فهل نستند في الحكم عليه الى الوضع الراهن ام الى الاصل ؟ وهل نعتمد المصالح الفردية الآنيه ام مصلحة الغد ؟

ان فلسطين تؤلف في الاساس ـ كالاردن ـ جزءا من سوريا الطبيعية . فاذا قيل بالاتحاد بينهما ، فليس في هذا القول كفر او تطاول على الحقائق الجغرافية والتاريخية ، وانما هي رجعة معقولة الى الاصل ، وانتفاضة على حدود فرضها الاجنبي على العرب لمصلحته ، على اثر الحرب الكبرى .

اما نقطة الخلاف فهي ناشئة

عن اختلاف الراي في الحكم القائم حاليا في شرقي الاردن ، وفي ارتباط الحكومة الاردنية بالمعاهدة المعلومة مع بريطانيا . ولكن مجرى الحوادث في فلسطين قد تجاوز مرحلة الجدل في هذه القضية ، ودخلت الان مرحلة الامر الواقع ، فلا فائدة اذن من النقاش العقيم .

ولا ادري الغاية المنشودة من الاحتجاجات الاخيرة على ضم الباقي من فلسطين الى الاردن . فاذا كانت الغاية انشاءدولة مستقلة في هذا القسم ، فاننا نعارض ذلك كل المعارضة ، لان العرب ليسوا بحاجة هذه الايام الى دولة جديدة ، ولا سيما اذا كانت اسباب الحياة المستقلة معدومة فيها .

ونحن نعتقد بان الحل الصالح الوحيد هو ضم فلسطين الى اي قطر عربي مجاور ، سيان عندنا القطر الذي تنضم عليه ، فالعبرة هي في انتهاج سياسة الاتحاد الاساسية . اما التفاصيل الاتية، واما الاحتجاجات المتبادلة ، واما التراشق بالتهم ، فانها بضاعة مزجاة ، في حين تتألف بيوتنا كلها من زجاج ...

— ٦ —

سوريا الكبرى

(العدد ٧٩٩ ، في ١٨ كانون اول ١٩٤٨)

ننتقل اليوم الى مشروع سوريا الكبرى . « والمشروع » فيه ليس لسوريا الكبرى نفسها ، بل الحلة التي يريدونها لها . ذلك ان سوريا الكبرى حقيقة طبيعية لا ينكرها الا الذي يؤمن بقدسية اتفاق سايكس-بيكو !

لقد كانت سوريا حتى الحرب العظمى الاولى بلدا واحدا ، حافظ على وحدته منذ قرون . وكان الشك الوحيد فيه يدور حول الحدود السورية الشرقية : اتقف عند البادية ام تمتد الى ما بين النهرين ؟

وفي اثناء الحرب العظمى اتفقت انكلترا وفرنسا على اقتسام « الهلال الخصيب » فيما بينهما ، فعقدتا اتفاق سايكس — بيكو التاريخي ، الذي مزق سوريا الطبيعية الى سوريا وفلسطين واردن ، وخلق حدودا لا اثر لها منذ الازل ، ثم نفذت الدولتان الظافرتان الاتفاق بالقوة ، فقام هذا الوضع القائم !

ومنذ نهاية الحرب العظمى ، والعرب في مختلف ديارهم ، وفي مقدمتهم السوريون ، يحاربون ذلك الوضع ، ويجاهدون للعودة الى الحدود الطبيعية السابقة . ثم جاءت الحرب الاخيرة ، وتحرر معظم الدول العربية من النير الاجنبي ، وقامت الجامعة ، فخيل الينا اننا سنحقق امانينا الاتحادية ، في عهد الاستقلال ، فاذا بالاستقلال ينكشف في كل قطر عن استقرار اقليمي غريب الشكل ، واذا بالحدود الذي وضعها سايكس وبيكو تصبح مقدسة في نظر العرب انفسهم ، ويصبح التعرض لها خيانة عظمى !

تلك هي مأساة سوريا الكبرى على حقيقتها ، بصرف النظر عن الشهوات والمطامع الفردية الكامنة وراءها .

ولعمري ليست العبرة في ان تستمر التفرقة ، او ان يتحقق « مشروع » معين من مشاريع سوريا الكبرى ، بل العبرة في نسيان حقائق التاريخ والجغرافيا والدم ، وفي تغذية الجيل الطالع بمبادىء سايكس— بيكو ، حتى نام الشباب كله — تقريبا — عن الجهاد في سبيل سوريا الكبرى من اجل سوريا الكبرى ، وتركوها مضغة في الافواه ، والعوبة في ايدي افراد !

- ٧ -

الهلال الخصيب

(العدد ٨٠٠ ، في ١٩ كانون اول ١٩٤٨)

نعود اليوم الى مشروع الاتحاد السوري العراقي ، الذي سبق لنا ان عالجناه مرارا خلال الاشهر الاخيرة.

لقد كان هذا المشروع قبلة آمال العرب في المرحلة الواقعة بين الحربين ، وكان « رجال القضية » يجدون فيه غاية الاماني القومية في « الهلال الخصيب » .

وكان قد استقر في اذهان الناس قبيل الحرب الثانية ، ان الانتداب الفرنسي في سوريا ، والنفوذ البريطاني في العراق ، هما اللذان يحولان دون تحقيق تلك الامنية العزيزة ، ولم يشك الشباب في تحقيقها حالما ينحسر الانتداب .

ودرا الفلك دورته ، وزال الانتداب ، وتحرر القطران الى حد بعيد من الطغيان الاجنبي المباشر . واذا بالامنية العزيز عند « رجال القضية » تذوب في الهواء ، واذا بالاقليمية في اضيق وادنى معانيها تحل محل كل حركة اتحادية . ولقد مرت اخيرا على العلاقات بين سوريا والعراق مرحلة كان التوتر فيها بينهما على اشده ، حتى كانت حكومة كل منهما اقرب الى ابعد قطر اجنبي بعيد ، منها الى الجار الاخ !

ولسنا نرى فائدة من نبش الماضي ، كما اننا نعرف تمام المعرفة الحجة التي يتذرع بها ارباب الحكم في كل قطر لمحاربة كل حركة اتحادية ، اذ يضفون على الجانب الاخر صبغة الخضوع للاستعمار ، ويعتصمون وراءها للدفاع عن اقليميتهم .

ولا ننكر صحة هذه التهمة في مناسبات عارضة عدة ، لكن الذي نستنكره هو اتخاذ تلك الذريعة سبيلا للقضاء على كل فكرة اتحادية ، وقطع زمام المباداة ، والانكماش في عزلة اقليمية ايجابية ، بل الامتناع عن انتهاج خطة اتحادية هجومية ، شأن الذي يؤمن بفكرة ، ويجاهد حقا في سبيلها . فالشعوب لا تتحد بمجرد التغني بالاماني ، والاتحاد لا يهبط من السماء بين عشية وضحاها.

اما ان يقبع الانسان في عقر داره ، ويقفل على نفسه — وعلى اخوانه — الابواب ، ثم يشكو من الاقليمية ، كما يفعلون في بغداد ودمشق ، فمهزلة انتهت بالقطرين الى كارثة فلسطين اليوم ، والى ما هو اسوأ منها في الغد !

- ٨ -

الاتحادية والاقليمية

(العدد ٨٠١ ، في ٢١ كانون اول ١٩٤٥)

استعرضنا في المقالات السابقة مشاريع التحالف الثلاثة المطروحة عى بساط البحث . وقد توصلنا فيها الى النتائج التالية :

اولا — ان مشروع الاتحاد الاردني — الفلسطيني دخل مرحلة الامر الواقع ، فالجدل فيه عقيم .

ثانيا — ان مشروع سوريا الكبرى فقد مقوماته الشعبية ، فلا بد من احيائه في الشعب قبل النظر الى امكانياته العملية ، وهي معدومة الان .

ثالثا — ان مشروع الاتحاد السوري العراقي ما يزال اقوى تأصلا في نفوس الناس ، واقرب الى التحقيق اذا خلصت النيات ، كما انه الاجدى .

على ان هذه المشاريع كلها فقدت منذ نهاية الحرب العظمى الثانية انصارها العاملين ، وتنكر لها حتى

الذين جاهدوا في سبيلها ربع قرن ، وحل محلها اخلاص مستحدث لاقليميات جديدة قائمة على الاوضاع الشاذة التي خلفها الاستعمار الاجنبي . ولو ان الدول العربية سفرت عن وجهها ، واعترفت باقليميتها وانتهجت في القول بها نهجا يتفق مع الواقع لتبدل الموقف في الشرق الاوسط .

بيد ان هذه الدول اصرت على الاحتفاظ بالحجاب الاتحادي ، لتموه به على الشعوب ، فصدق الناس ان هناك جامعة عربية ، وان هناك تعاونا عربيا قائما على الاخوة والتقارب . وما ان دقت ساعة التجربة في ميدان فلسطين ، حتى تمزق الحجاب ، وظهرت الحقيقة من خلال ثقوبه بشكلها البشع ، فلا جامعة ولا تعاون ، ولا هدف مشترك ، بل انانيات وشهوات ومداورات وبلهوانيات .

ايجوز بعد ان وقع ما وقع ، ان تستمر المهزلة ذاتها ؟ ايجوز ان تترك الشعوب — ومنظماتها الحزبية — امر العمل الاتحادي لمن جعلوا الاتحاد قناعا براقا يخفي تحته انانية تتضاءل عندها اسمى المثل العليا ؟

— ٩ —

هيكل وروح

(العدد ٨٠١ ، في ٢٢ كانون اول ١٩٤٨)

كانت نقطة الخطأ — والمصيبة — في قضية فلسطين انها قامت على اساس وجود قضية عربية ، بلا قضية عربية .

وارجو الا يعتبر القارىء كلامي هذا تجديفا على الله والحق . فالقضية العربية فقدت معناها ومبناها — عند دولها — منذ نهاية الحرب الثانية !

ما هي القضية العربية ؟

نحن نعرف ان الجواب على هذا السؤال عسير جدا . بيد اننا ندع التمديدات العلمية والفنية والتاريخية والجغرافية والعرقية جانبا ، ونوجز الجواب في حقائق اولية بسيطة : انها قضية تجمع شعوبا سائرة نحو هدف اتحادي اخير .

والواقع ان الغاية الاتحادية طغت على القضية العربية منذ ولادتها ، فلم تترك فيها مجالا لاي اعتبار اخر ، واصبحت هذه الغاية هدفا يبرر كل وسيلة ، ويستهين كل وضع يتنافى مع الغاية ، ويسفه كل منطق يعترضها . وعلى هذا نستطيع القول بان القضية العربية هي قضية اتحادية ، وان المادة الاتحادية فيها هي روحها .

وسارت القضية العربية في هذا الاتجاه بخطوات واسعة منذ سنة ١٩١٠ وتطورت مع الزمن ، وتحت وطأة الاستعمار ، وهي قوية بروحها الوثابة ، تنسخ الصعاب وتأتي العجائب .

وكان الرائد الاتحادي يطفو على وجه كل حركة ، وكل ثورة ، وكان المواطن العادي متفقا مع « رجل القضية » قلبا وقالبا .

غير ان القضية اصيبت بلطمة قاسية في المدة الواقعة بين ١٩٤٣ — ١٩٤٦ ، يوم انتقل زمام الحكم الى ابناء البلاد ، فاطمأن المواطن الى الحكام ، واعتبر مهمته منتهية ، ظنا منه انهم سيتخذون الحكم وسيلة لتحقيق الغاية المنشودة ، فاذا بالغاية تصبح سرابا ، واذا بالاماني الاتحادية تذوب في الشهوات الاقليمية ، فتفقد القضية العربية روحها ، اذ تفقد العاملين لاجلها شعوبا ورجالا ، وهل تنجح قضية بلا شعوب ورجال ؟

هكذا وقعت الكارثة لما تحدانا

اليهودي فلم تدفع عنا القضية الاذى، لان الخيال لا يستطيع ان يدفع عنا شيئا . والى الغد !

- ١٠ -

كانوا وامسوا !

(العدد ٨٠٣ ، في ٢٣ كانون اول ١٩٤٨)

كتب الي قاريء امس يسأل : « ... وهذه الصيحة في سبيل الاتحاد والتوحيد ، من المسؤول عن تلاشيها ؟ ومتى تلاشت ؟ وكيف تلاشت ؟ ».

في اسئلتك يا صديقي سر القضية العربية من جهة ، وسر الطبع الانساني من جهة اخرى . والسران منبثقان من معدن واحد . ذلك ان كل قضية هي بنت رجالها فاذا ضاع رجالها ضاعت !

يا صديقي : كانت حركة الاتحاد قبل الحرب الاخيرة لولب كل حركة وطنية ، وكان حديث الاتحاد على كل شفة ولسان مذ فرق الحلفاء بلاد العرب في نهاية الحرب العظمى الاولى .

وكانت الدول العربية القائمة ولو شكلا تستهدف الاتحاد في مشاريعها . فهذا الملك حسين بن علي ظل حتى اخر لحظة من حياته يناضل في سبيل الاتحاد والوحدة . وهذا الملك عبد العزيز آل سعود وحد نجد والحجاز وضم اليهما عدة امارات تائهة . وهذا الملك فؤاد ظل يجاهد من اجل ضم السودان الى مصر ويقوم بالمحاولة تلو المحاولة في سبيل اتحادات بعيدة المدى . وهذا الملك فيصل الاول كان قطب الدعوة الاتحادية بين سوريا والعراق ، ثم عقبه الملك غازي ، فجاهد ما استطاع للوحدة مع سوريا وفلسطين والكويت .

والى جانب ملوك ذلك العهد ، كان « رجال القضية » لا يقومون بأي مسعى داخلي او خارجي الا على اساس الوحدة والتوحيد . وكان الناس يغفرون للجميع فشلهم في تحقيق أي مشروع توحيدي بسبب وجود الاجنبي ، ويلقون على المستعمر كل تبعة في استمرار التفسخ القائم.

ثم اختفى المستعمر من معظم الاقطار العربية ، فاذا باحاديث الوحدة والاتحاد تزول من الوجود تقريبا ، واذا بالذين كانوا ينادون بها طيلة ٢٥ سنة ينكمشون على انفسهم، ويقنعون من دنياهم وقوميتهم بسد الابواب سدا محكما على دويلاتهم التي اقام الاجنبي حدودها . لقد فرغت صدورهم من الطموح ، وقنعوا بالقليل الذي نالوا باسم الكثير ، ففقدت القضية العربية جهاز عملها ، وتعطلت .

هذه هي الحقيقة الواقعة : حقيقة رجال وصلوا الى ارفع المراكز في العالم العربي باسم النضال لتوحيده، فلما تمت لهم الاسباب قبع كل منهم في زاويته يقول : « يارب شخصي !»

كيف تريد - بعد هذا - ايها الصديق ان تظل القضية العربية سائرة؟ ان القضايا بحاجة الى رجال وشعوب ، فاذا عز الرجال ، وسهت الشعوب فكبر على كل قضية !

- ١١ -

اين ابناء الآباء

(العدد ٨٠٤ ، في ٢٤ كانون اول ١٩٤٨)

قلنا امس ان القضية العربية وهي في عقيدتي مبدأ حياة وانتاج ونضال ، قد تعطلت لانها فقدت الرجال الذين تولجوا امرها ، بمجرد استقرارهم في مقاعد الحكم بعد الحرب الاخيرة .

وقد شاء سوء الطالع - وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ! - ان تنفجر محنة فلسطين قبل ان يدرك العرب مدى التزوير الذي انطوت عليه قضيتهم بالشكل الذي عرضوها به ، فكانت الكارثة ، وكان هذا السؤال : وما العمل الان ؟

ان مبدأ الوراثة البشرية يقول بقيام خلف لكل خلف ، فما الذي يمنع الجيل الجديد من القيام بهذه المهمة ؟

اجل ، ما الذي يمنع هذا الجيل من النهضة للدفاع عن حاضره ومستقبله ، بعد ان اكتشف التزوير، وبعد ان فضحت الحوادث الحقيقة ؟

ما الذي يمنعه من الرجوع بالقضية الى الطريق المستقيم ؟

في الماضي كان جماعة « ماشي الحال » يعتبرون السعي للاتحاد من الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها . فاذا افترضنا صدق هذا الراي في الماضي فان قيام الدولة اليهودية في قلب اراضينا جعل الاتحاد ضرورة حيوية .

فيما مضى كنا نجابه عدوا خارجيا واحدا ، اما الان فاننا نجابه عدوين في آن واحد : العدو الخارجي الاجنبي ذاته ، والعدو الداخلي الصهيوني .

واذا كان البحث عن وسائل لدفع البلاء قد جعل بعض اركان الحكومات العربية يفكرون بالتحالف مع دول اجنبية ، فاحر بنا ان نفكر بالتحالف الداخلي الاكبر !

لنعد الى صلب الموضوع : ان دخول الشباب الى معترك السياسة العربية كعنصر هجومي بات الامل الوحيد للخروج بالشرق العربي من اتجاه يسير به مباشرة نحو الاستعمار الدائم .

واذا كان الشباب في الجيل الماضي لم يتردد في تحدي الاجنبي في سبيل القضية ، فاحر بالشاب في هذا الجيل ان يتحدى ايا كان .

ولو كل شاب يخصص ساعة في الاسبوع للعمل التنظيمي الحزبي ، لاستطعنا قلب العالم العربي رأسا على عقب !

نعم ، للعمل القومي مقتضيات تختلف باختلاف الزمان ، فاذا جاز للجيل الماضي ان يطالب بالوحدة وان يقف مجهوده عندها ، فان العهد الحالي يقتضي ربط السعي للوحدة بالسعي الى توحيد الشعوب اجتماعيا، وذلك بالقضاء على الاقطاعية والعقلية الاقطاعية ، واتخاذ الانصاف الاجتماعي سياسة دائمة التطور والتوسع ، لا ملهاة للتهدئة من آن الى اخر .

- ١٢ -

الانصاف الاجتماعي

(العدد ٨٠٥ ، في ٢٥ كانون اول ١٩٤٨)

لم تطغ المادة الغربية على هذا الشرق العربي قبل الحرب العظمى الاولى ، فكانت المعيشة حتى ذلك الحين قائمة على اسس الفية العهد .

وكانت نسبة التفاوت الاجتماعي بين مختلف الطبقات ضئيلة ، بمعنى ان الاكثرية الساحقة كانت تعيش عيشة الكفاف ، كما ان اسباب الرفاهية ، عند الطبقة الميسورة كانت محدودة جدا . وكانت مظاهر الترف والسعة مخفية وراء الجدران، لا يشعر بها سواد الشعب .

وحملت الينا المادية الغربية اشكالا والوانا من اسباب الرفاهية ، ونقلت

مظاهر السعة دفعة واحدة الى الشارع ، معروضة امام الناس ، من السيارات والملابس ودور اللهو والحلى .

ثم اختل التوازن الطبقي ، فنمت الطبقات الوسطى وتعددت درجاتها ، بينما زادت مقتضيات المعيشة أجمالا، ونقصت الموارد. فاصبحت هذه الفوارق ظاهرة مفضوحة في حياتنا الاجتماعية .

ومما يؤسف له ان الطبقات الحاكمة في العالم العربي ، وهي تمت بصلة وثيقة الى الطبقات الميسورة، لم تشعر بخطورة الفوارق المتزايدة في هذا الشعب . فتركت الفقير على فقره ، والاقطاعي على اقطاعيته .

ومع مرور الزمن اخذت المرارة تزداد في قلب الفقير الكادح ، وتشتد فيه عاطفة الحسد والنقمة . واذا استمر الوضع على حاله ، فسيأتي يوم نندم فيه ولات ساعة مندم !

بناء على ذلك يجب ان تكون الحركات الوطنية الناشئة انقاض المساعي القديمة ، اجتماعية ، تسير فيها مصلحة الوطن مع مصلحة ابنائه. اذ لا فائدة من دعوة الشعب للدفاع عن وطن سيستثمره افراد قلائل ، ولا يمكن اقناع الجماهير بالانتفاض من اجل غاية قومية ، اذا كانت نتيجة النصر فيها ستصير بضاعة محتكرة !

يجب أن ندرك ان الانسان هو انسان قبل كل شيء ، وان الفرد البائس مجبر تحت ضغط معدته على ان يسد جوعه قبل ان يفكر ويقدر العواقب . وفي سبيل المعدة لن يتورع عن اي نشوز ، وهذه بعض حوادث الجليل والجنوب في فلسطين خير شاهد على ذلك .

اذن ، لكي تنجح الحركات الوطنية المتجددة ، يجب ان ترتكز في الدرجة الاولى على مبدأ الانصاف الاجتماعي حتى تتمكن من الاستناد الى الجماهير. وهل تحيا قضية بلا جماهير ؟

كامل مروه

الاتحاد في علاقاتنا الدولية

ما اسرع ما تتطور الشعوب في عقد واحد او عقدين . وقد يكون هذا التطور طبيعيا ، وقد لا يكون ، ومع ذلك فهو امر واقع ، يتحدى السمع والبصر بوجوده !

لقد شغلنا حديث الدفاع المشترك الذي قدمه الغرب الى مصر عن البحث في العلاقات العربية ضمن نطاقه ، فحصرنا ـ وحصر الجميع ـ ابحاثهم في مشاكلنا مع الغرب ، وفى سبيل الافادة من المناسبات السانحة لازالة مظالم واستمداد قوة . **ولكن ، اين هي القضية العربية الكبرى من هذا كله ؟ ما هي مصلحتها ؟ ما هو مستقبلها ؟ هذا ما سنعالجه اليوم .**

***

عن الحرب العظمى الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ انبثقت القضية العربية في بدايتها العملية ، يوم عقد الملك حسين مع الانكليز معاهدة « دفاع مشترك » من طراز اخر ، فدخل العرب الحرب مع الحلفاء ، وابلوا فيها البلاء الحسن ما استطاعوا ، ودفعوا قسطهم في النضال دماء وقواعد ومواصلات وانتفاضا على الخلافة ، على امل ان يتقاضوه بعد الحرب استقلالا ناجزا ضمن دولة عربية كبرى .

تلك كانت غايتهم من « الدفاع المشترك » يومئذ مع بريطانيا . ثم خيب الغرب ـ هو عينه اليوم ! ـ امال العرب في نهاية الحرب ، فمزقهم شر ممزق ، ومع ذلك لم ينكروا عقيدتهم ، واصروا على اتخاذ الدولة الكبرى غايتهم في الاستقلال .

وجاءت الحرب العظمى الثانية ، سنة ١٩٣٩ ، والاقطار العربية في اوضاع متضاربة . فهناك دول ودويلات مقيدة بمعاهدات ، كمصر والعراق والاردن ، وهناك سوريا ولبنان يرزحان تحت الانتداب.

ولم يكن الغرب بحاجة الى اقتراح « الدفاع المشترك » على العرب في تلك الحرب ، لان جيوشه كانت تحتل البلاد العربية قبل الحرب بزمان ، وقد اتخذتها قواعد للدفاع والهجوم ، كما تشاء ، فكان « الدفاع المشترك » قائما جغرافيا وحكوميا ـ دون ثمة حاجة للمساومة عليه .

مع ذلك ، استطاع العرب ان يجدوا منفذا الى المساومة معالغرب، بسبب انهيار فرنسا سنة ١٩٤٠ والخصام بين حكومة فيشي وبريطانيا، ثم بسبب تحفز المحور الالماني ـ الايطالي لاقتحام الشرق الاوسط .

وقد اتخذت هذه المساومات اشكالا والوانا ، فالعراق ثار اولا على الانكليز ، ثم اكمل الشوط معهم .

« مقال الاسبوع » في « الحياة » العدد ١٧١٠ في ٢ كانون الاول ١٩٥١

ومصر ترددت ، ثم عادت فايدتهم ، بينما اندفعت معهم اردن الملك عبدالله اندفاعا تاما .

اما سوريا ولبنان فقد ايدا الغرب «تأيبدا سلبيا» — **رحمك الله يا رياض الصلح !** — ثم افادا سنة ١٩٤٣ من الخصام الفرنسي والانكليزي ليبلغا مناهما ، بعد ان قدما الى كل من الدولتين مساعدات غير مباشرة .

ولكن ماذا كانت غاية العرب من هذه المساومات كلها ؟

اذا رجعنا الى المفاوضات السرية التي دارت في تلك الايام ، وجدنا ان مطالب الكتلة العربية — على اختلاف ميولها — كانت محصورة في طلب مزدوج الاسم ، واحد الغاية ، وهو : **الاستقلال والوحدة !**

هذا الطلب ، ردده العرب للانكليز في بغداد وعمان ودمشق وبيروت ، وللالمان في برلين ، وللطليان في روما. **فما من زعيم او حاكم عربي بحث الامر يومئذ مع اية شخصية حليفة او محورية ، الا وطلب الوحدة كشرط اساسي مع الاستقلال . لقد كانت الوحدة الهدف الغالي ، وكان الاجماع قائما على انها ركن الكيان العربي ، وان الاستقلالات وحدها لا تكفي ، ولا تثمر اذا لم تجملها وحدة ما .**

وانتهت الحرب ، وقبض العرب ثمن مساهمتهم المباشرة وغير المباشرة في« **الدفاع المشترك** » الحلفائي ، في صورة استقلال لبنان وسوريا ، واعطاء بعض الترضيات المحدودة لمصر والعراق والاردن .

ولم يكن الغرب يجهل مدى تعلق العرب بالوحدة ، فخطر له خاطر ذكي بدغدغ اماني العرب من جهة ، ويقطع عليهم الطريق من جهة اخرى. **وهكذا قذف الينا بعظمة « الجامعة العربية » ليشغلنا بها ، ولنجد فيها وحدة هي ليست بالوحدة ، وسجل علينا هذه الجامعة « نفدة » في الارباح التي جنيناها من الحرب ...**

***

هكذا خرجت الدول العربية من الحرب شبه مستقلة ، متمتعة بحريات نسبية ، تستطيع معها تحقيق الوحدة التي حارب العرب من اجلها حربين . فبدلا من ان تحقق تلك الامنية ، عملت على معارضتها اكراما للحكام وللاسر المالكة ، واستخدمت « الجامعة العربية » اداة ممتازة لقطع الطريق على كل مسعى للوحدة ، بل ذهبت في التجني الى وصم هذه المساعي بالخيانة العظمى !

وقد ساعد على تثبيت هذا الاتجاه دولتان كبيرتان دخلتا حظيرة القضية العربية حديثا ، وهما مصر والسعودية .

قبل الحرب كانتا كلاهما بمعزل عن الشؤون العربية ، فكان دخولهما كسبا للمجموعة العربية ، ما لبث ان تحول الى حرب عوان على كل محاولة اتحادية بين الدول العربية .

ذلك ان مصر فاروق ، التي تجاهد للاتحاد مع السودان ، تتأبى اي اتحاد عربي اخر مهما كان شكله ، والسعودية قانعة بما عندها ، لا تطلب المزيد لنفسها ولا تريده لسواها . **وهكذا ، فان مصر والسعودية لم تكتفيا لسوء الحظ — بالتنكر للقضية العربية الكبرى على شكلها الاساسي ، بل تزعمتا محاربتها في منابتها بالمال والنفوذ والاعوان ، لا لسبب الا لان الاقدار شاءت ان يكون الهاشميون على صلة بتلك القضية ، ان في بدايتها ، او في المراحل التي انبثقت وتنبثق عنها اليوم .** وبذلك راحت القضية العربية الكبرى ضحية الخصام

بين السعوديين والهاشميين في الحجاز على الماضي ، وبين الهاشميين والعلويين (اي الاسرة المصرية) على المستقبل

***

بقيت الوحدة بعد الحرب الثانية امنية في قلوب الكهول والمخضرمين ، وفي عقول بعض الشباب المفكرين ، وفي خيال بعض الفتيان المتحمسين . ولكن حديثها انطوى على السنة معظم الساسة والمجاهدين الذين خاضوا حربين من اجلها ، الا ما ندر ، وانصرفت عنها الجامعة العربية انصرافا كليا ، **فكان ان تحولت الجامعة من وسيلة لجمع الدول العربية في طريق الوحدة، الى متحف لتحنيط الاوضاع الراهنة في العالم العربي .**

ووجدت الدول الاجنبية في نزوات « الشهوات العليا » خير عون لها على منع وحدة تصدت في ما مضى لمنعها بالقوة ، فاساءت الى سمعتها . لذلك تركت لحكام العرب وملوكهم مهمة منع الوحدة بين العرب ، واكتفت بتعزيز هذا او ذاك منهم وراء الستار ، لانها بلغت على ايديهم ما لم تستطع بلوغه فينا في حربين !

وليس صحيحا ان اية دولة اجنبية شجعت اي اتحاد بين العرب ، فقد كانت الدول الاجنبية – وما تزال – تعترض بعد الحرب الثانية كل مسعى اتحادي ، كما اعترضته بعد الحرب الاولى .

***

واليوم يعيد التاريخ نفسه في صورة اخرى .

ها هو الغرب يعود الينا للمرة الثالثة بمشاريع الدفاع المشترك ويلوح لنا بمصالح كامنة وراءه ، كما فعل تماما مع الملك حسين سنة ١٩١٥ .

والمفروض فينا ان نعتبر بتجارب الماضي ، فلا نسير على عمى كما جرى في المرة الاولى . **فاين هو « النور » الذي نهتدي به الان ؟ وما هي مصالحنا في الموضوع ؟**

اذا استعرضنا « الثمن » الذي تطلبه الدول العربية ، مجتمعة ، ومنفردة ، فلا تجد فيه اثرا للوحدة ، او الاتحاد .

كل منها – وهي ممثلة في شخص حاكمها – يطلب الاستقلال لنفسه ، ولسواه من الدول العربية ، على ان يكون هذا الاستقلال راسخا في كل اتجاه ، **فهو استقلال عن الغرب ، بقدر ما هو استقلال عن كل دولة عربية اخرى . اما الوحدة ، مصدر القوة ، وامل البقاء ، ومرد التاريخ ، فليس من يذكرها !**

في الحرب الاولى وعد الانكليز الملك حسين بالوحدة الكبرى لاجتذاب العرب اليهم .

في الحرب الثانية وعدوا ملوكا وزعماء بوحدات واسعة وضيقة ، ثم قدموا « الجامعة العربية » دفعة على الحساب .

اما في التمهيد للحرب الثالثة ، فانهم يعدون العكس تماما . ان الغرب يؤكد للدول العربية ان « الدفاع المشترك » سيضمن « بقاء الاوضاع الراهنة في الشرق الاوسط على حالها » . **ومعنى ذلك انه سيضمن بقاء كل دولة عربية على حالها فيمنع بينها كل تقارب او اتحاد .**

والانكى من ذلك ان جميع الدول العربية تقريبا تصفق لهذا ، بل ويطلبه بعضها بالحاح ، كشرط اساسي لقبول الدفاع المشترك . واذا غالت احداها في الايمان القومي ، فانها تطلب ان

يتم عقد الدفاع المشترك ضمن الجامعة العربية ، والسلام !

قابل ايها القارىء بين هذه المطالب، وتلك التي قامت عليها القضية العربية ، ثم قامت عليها هذه الدويلات كلها !

قابل بين عروض الغرب في الحربين وبين عرضه الان ، ثم قل معي : **ايكون الدفاع المشترك جناية على القضية العربية الكبرى ؟**

لكي يكون « الدفاع المشترك » الثالث ، حلقة طبيعية في مجرى تاريخ الحربين السابقتين، يجب ان يؤدي ـ في حالة قبوله ـ الى اشتراك الجيوش العربية كلها في تنظيم عسكري عربي مشترك ، من فوق الحدود والسدود . اما اذا كان بضاعة « بالمفرق » لكل دولة عربية على حدة ، فانه يكمل ما بدأه سايكس وبيكو في الحرب الاولى ، وما جنى اليهود ثماره في عقب الحرب الثانية . .

***

لو كان في الدول العربية دول ذات منطق سياسي ، وجد في القول والعمل ، ونضوج في التفكير لسخرنا من « الدفاع المشترك » الكامل ولقلنا : ليت الدول العربية ترفض الدفاع المشترك ، فلا تقبله منها الا هذه الدولة الجادة الناضجة او تلك ، وتفيد من ثمنه ، لكي تسير بالقضية العربية في الحرب الثالثة الخطوة الحاسمة نحو مصيرها الطبيعي .

ليت دولة عربية واحدة تقوى ، لكي تجمع الباقين في رباط الاخوة الصادقة ، والجامعة الصحيحة التي تجمع لا جامعة القاهرة التي تمنع الجمع ...

***

على ان مجال العمل العربي حتى ضمن « الدفاع المشترك » واسع النطاق .

ان « الدفاع المشترك » مع الغرب مطاطا ، ما دام الغرب مؤلفا من ثلاث دول (انكلترا واميركا وفرنسا) ذات مصالح متضاربة ضمن العالم العربي. انها تريد ان تعقد معنا « دفاعا مشتركا » ضد الشيوعية ، ولكنها تريد ان تبقى الجبهة العربية بالنسبة اليها متنافرة ، بقدر ما تتنافر المصالح الغربية ضمن الاقطار العربية .

ان مصلحة الغربيين هي في جمعنا ضد روسيا ، وفي تفريقنا تجاههم . وخراب الدول العربية هو الاستسلام لهذه السياسة .

فاذا شاءت الدول العربية ان تفيد القضية العربية من الدفاع المشترك ، فيجب **أن تقطع الطريق منذ الان على الاصابع التي تباعد فيما بينها وتسيرها من وراء الستار .**

يجب ان تتفق فيما بينها على ما تسميه « المصلحة العربية الواحدة» ، وان تقف كلها صفا واحدا في وجه الدول الغربية مجتمعة ، ومتفرقة .

ولكن هذه الامنية مستحيلة التحقيق الان ، فلن تجتمع الدول العربية على اميركا ، ولا على انكلترا، ولا على فرنسا ، وهي التي احجمت عن الاجتماع ضد اسرائيل . ومنها من يفضل حتى هذا العدو المكشوف على دول عربية اخرى !

اذن ، ستبقى في المجموعة العربية غير المجموعة ، حتى ضمن الدفاع المشترك ، دول تماشي بريطانيا

واخرى اميركا ، وغيرها فرنسا .

وستبقى في الدول الغربية الثلاث، رغم الدفاع المشترك ، دولة تؤلب دولا عربية على شريكتيها الاخريين ، **وسيبقى الخصام على القضايا العربية قائما ضمن الكتلة الغربية ، كما جرى في وسط الحرب الثانية .**

هذه هي الثغرة الباقية امام القضية العربية . من خلالها تستطيع القضية العربية التسلل الى مرحلة اخرى في مسيرها ، بدلا من ترك الغرب يتسلل الى صفوفنا عن طريق المنازعات القائمة بين حكامنا واسرنا المالكة .

المجال اذن مفتوح ، شرط ان يقيض القدر للقضية رجالا من الوزن الثقيل .

انا لا اؤمن بالقحط الدائم في الرجال ، فقد يقيض الله لنا ما نريد من حيث لا ننتظر .

ولا اؤمن ايضا بالعقم الدائم في الحظ ، فالمجال في الشرق العربي مفتوح للجميع ، وقد يتقلب الحظ بين حين واخر ، ولكنه يظل ابدا في متناول كل يد :

انه في متناول الانعزاليين من العرب ، كالاتحاديين و« الراهنيين ».

... وفي متناول اسرائيل !

اكرم زعيتر

الى الوحدة : سبيل الخلاص

لقد برهنت الكارثة فى طليعة ما برهنت على ان جامعة الدول العربية فى وضعها الراهن وفى ميثاقها الواهن اعجز من ان تدفع عن العرب شرا .

وكيف ترجو ان تكون الجامعة اداة تحرر ووسيلة خلاص وهي التي عجزت فى مدى ست سنوات عن الغاء جوازات السفر او تلطيف قيود الانتقال بين اقطارها؟ وانت اذا سافرت من فرنسة الى بلجيكا ومن هذه الى هولاندا لا تجد على الحدود جزءا من المصاعب التي تجدها اذا اردت ان تجتاز قطرا عربيا الى اخر ولا تحتاج الى بعض هذه القيود التي تقيد انتقال العربي من بلد الى ثان فى هذا الوطن العربي الواحد .

انني ازعم ان العلاقات بين البلاد العربية قبل قيام هذه الجامعة كانت ارحم وكانت ارحب منها بعد قيامها .

لقد تيسر لي ان احضر بنفسي اجتماعات مجلس الجامعة ، فخرجت منها قانعا بان المنظمة التي تعجز عن تحقيق البسيط ، الهين ، هي اعجز عن تحقيق الجليل ، الخطير . وان التي لا تستطيع ان تلغي جواز سفر او حاجزا جمركيا لا تستطيع ، فى حال ، ان تقضي على دولة ناشئة تسمى اسرائيل !

لقد قدر لي ان اكون بضعة اشهر عضوا فى لجنة فلسطين الدائمة فى الجامعة ، واذكر انها قضت هاتيك الاشهر كلها تتذاكر فى : هل يجوز للقنصليات العربية ان تمنح سمة لجواز سفر اجنبي يحمل سمة اسرائيلية ؟

وتركت اللجنة وهي لا تزال تناقش الموضوع ، واحسب انها لما تنته منه . وكنت اتصور ونحن فى نقاشنا البيزنطي التافه ان بن غوريون وشرتوك وغيرهما كانوا فى الحين ذاته يتناقشون فى المواضيع التالية : كم مصنعا للاسلحة ننشيء ؟ كم باخرة؟ كم طائرة نشتري ؟ كم مستعمرة نقيم ؟ كم مئة الف مهاجر ندخلهم الى اسرائيل ؟ كنت اتصور هذا وازداد ايمانا بان جامعتنا السلحفائية لن تستطيع فى حالها الراهن ان تؤدي للعرب رسالة خلاص .

واعجب العجب ان هذه «الجامعة» التي يجب ان تخطو بالعرب نحو الوحدة الكبرى وان تعمل على ازالة الحدود بين الاقطار العربية حتى تغدو قطرا واحدا غدت هي اداة لتاييد تلك الحدود الضيقة وتخليد هذه الكيانات الهزيلة وقد لبست فى سبيل تامين استمرار التجزئة ثوب الدفاع عن سيادة كل شعب، وكيان كل شعب ، حتى راينا فى هذا

مقالان نشرا فى « الحياة » ، فى العددين ١٥٢٠ و ١٥٢١ ، فى ٣ و٤ ايار ١٩٥٠ .

البلد اولئك الاقليميين والانكماشيين والشعوبيين واعداء الوحدة العربية الذين كانوا يرون فى الجامعة حين تاسيسها شبحا راعبا واداة خطرة قد صاروا هم انفسهم يرونها اداة ضرورية وصاروا هم انفسهم يتغنون بميثاقها ويجهرون بالولاء له ويتداعون الى المحافظة عليه ، لا لانهم كانوا اقليميين كافرين بالعروبة فغدوا عربا موقنين بالوحدة العربية ، ولكن لان الجامعة قد صارت اداة تخليد للاقليمية وتأييد للحدود ودفاع عن سيادات جزئية وكيانات مرضوضة.

ولا اتحدث هنا عن الضمان الجماعي وكيف ارتجل وماذا اريد به والغاية التي هدف اليها ومدى الرغبة الجدية والارادة الصادقة فى تنفيذه فلست بسبيل ذلك ، ولكن حسبي الان ان اجهر : **بان الكارثة قد علمتنا اولا ان جامعة الدول العربية عاجزة عن تقوض اسرائيل فلا يصح الاعتماد عليها سبيلا للخلاص. وعلمتنا ثانيا ان الدويلات العربية ذات الكيانات الهزيلة – واستعير تعبيرا اندلسيا فاقول : ان «دول ملوك الطوائف» – التي عجزت عن تأديب عصابات الامس هي اعجز اليوم عن انقاذ هذه الامة وتحرير هذا الوطن والذياد عن شرف العرب ورد الغائلة عنهم.**

اذن لقد برهنت القارعة الفلسطينية على ان بقاء هذه الكيانات العربية الضعيفة ، الهزيلة، على حالها يؤلف بينها ميثاق عنكبوتي سيكون عاملا فى استمرار اسرائيل واتساعها .

وقد رأينا اسرائيل تستفرد الدول العربية فى قتالها استفرادا ، ورأينا هذه الدول العربية تعجز منفردة عن الانتصار عليها ورأينا كل دولة عربية تضع عبء الخذلان المبين على الاخرى .

لا يلم بعضكم على الخطب بعضا
ايها القوم كلكم ابرياء !

ان دول ملوك الطوائف فى الاندلس قد تهاوت واحدة بعد الاخرى امام الجيش الاسباني الذي كانت نواته عصابات على رؤوس الجبال ثم غدا قوة كاسحة اجلت العرب عن فردوسهم الاندلسي العظيم.

تماما ، تماما يشبه حالنا اليوم هنا حالنا بالامس هناك ، فهل نظل دويلات اشبه ما تكون ، حين تهب العاصفة ، بالقصبات المرضوضة او الريشات المقصوفة المتوفة ؟

اننا اذا اردنا الخلاص من الهوان الذي نتمرغ فيه والبقاء عربا وعزمنا على « الوجود » فى هذا الكون فان سبيلنا هو المبادرة الى تلخيص هذه الدويلات او اختصارها والسير حثيثا نحو الدولة العربية الاتحادية الكبرى .

لست ادخل الان فى تفصيل يعين الشكل ويرسم الكيفية وانما الذي يعنيني هو الجوهر .

ان حفنة من الاشخاص فى الامة العربية ينتفعون من استمرار التجزئة ويخشون اذا ماتمت الوحدة واذا ما اندمجت الكيانات التافهة فى كيان محترم ان يفقدوا عروشهم اوالقابهم او امتيازهم او مناصبهم . ويؤثر احدهم ان يكون صاحب الدولة « صدرا اعظم » فى بقعة صغيرة جدباء ماحلة ، مهددة بالغزو والاجتياح على ان يكون مواطنا فى دولة محترمة . هذه الحفنة التي تناصب الوحدة او الاتحاد عداوة لداء وتبث العراقيل دونها وتصر على استمرار دول ملوك الطوائف والقاب الممالك انما تضحي بمستقبل الامة العربية وبوجودها على مذبح شهواتها !

ان الذي رسم الحدود بين الاقطار العربية واقام الدويلات وبنى الكيانات هو الاجنبي المستعمر وحده . ولم يكن للامة العربية رأي في تخطيط هاتيك الحدود واقامة هذه الحواجز . وقد وفق الاجنبي المستعمر في ما اختط ورسم حتى اصبحت الحدود في نظر البعض مقدسة لا يجوز مسها وصار بقاء الكيانات حالة راهنة (ستاتوكو) يأثم من يدعو الى تبديلها .

ان الوحدة التي نؤمن بها وندعو اليها في اصرار الواثقين انها سبيل الخلاص ، تتعالى عن ان تهدف الى توطيد عرش او توسيع رقعة ملك او تأييد اسرة . وانها لتتعالى كذلك علوا كبيرا عن ان ترضى ببسط سيادة اجنبية على اية بقعة عربية ... ان قضية الوحدة قضية دفاع عن الوجود ولا بد منها لاستبقاء ما بأيدي العرب للعرب اولا ولاستعادة فردوسهم المفقود ثانيا .

انني اقسم في يقين ان الاشلاء الباقية من فلسطين العربية هدف الاجتياح وان اليهود سيستولون عليها وعلى ما وراءها اذا ظللنا مستمسكين بالتجزئة عازفين عن الكيان القوي الموحد .

اجل ، ان هذه الدويلات المكروسكوبية ستظل هدفا للعدوان وغرضا لتمزيقات وانتقاصات ما ظلت مستمسكة بقدسية الحدود وابدية الحواجز في ما بينها .

ان الدول الاوروبية الغربية تتداعى الى الاتحاد وتراه سبيلا لخلاصها ولكن الدويلات العربية تصر على بقائها مجزاة وكل عزائها السخيف أن لها في منظمة الامم ستة اصوات لا صوتا واحدا !

واذا لم تبادر الامة العربية الى السير الحثيث في طريق الوحدة فلتجدن من يحول دون وحدتها في المستقبل بقوة السلاح !

ان الامة العربية اليوم ، وبعد الهزيمة في فلسطين وما اعقب الهزيمة من انهيار شنيع في الاخلاق والمبادىء تحتاج الى مثل اعلى ينظم امرها ويوحد كلمتها ، ويبعثها بعثا جديدا فلتكن الوحدة العربية هي ذلك المثل المنشود .

اكرم زعيتر

الاتحاد قضيـــة وجـود

في الواحدة ، بعد منتصف الليل، في الثالث من حزيران سنة ١٩٤٨ ، كنت في بيت الجنرال سوموسا،وزير دفاع نيكاراغوا واقوى وانفذ رجل فيها ، وقد اختير قبلئذ رئيسا لجمهوريتها في دورتين ، ثم انتخب للمرة الثالثة رئيسا ، ولا يزال .

كنت استمع الى حديثه الجذاب ، وادرك منه ثاقب بصيرته ، ولعلي كنت متأثرا بما كتبه عنه الكاتب الاميركي « غانتر» في كتابه « اميركا اللاتينية» . ولعله لحظ هذا فقال: يكتبون عني انني اسد فيه ضراوة فهل ترى ياصديقي في شيئا من ذلك ؟

فأجبته : ما سمعته وما أراه ،انك شجاع تجمعت فيك صفات الفارس ونحن العرب نحب الفارس ونعجب بالشجاع !

وانطلق الجنرال يحدثني ويحاورني ويسألني ويستمع الي في اصغاء يغري بالافاضة والحماسة ثم يقول : « لو كنت مكانكم يا عرب، وبلادكم بلادكم ، وممكناتكم ممكناتكم لدمرت الصهيونية ومحوت دعاتها من الوجود !»

وابحت لنفسي ، والجو مضمخ بالصراحة ، ان اندد بموقف نيكاراغوا منا في هيئة الامم ، مما حمله على القول : « اننا ايدنا التقسيم مجاراة للولايات المتحدة ، ومصلحتنا قضت بأن نتأثر بها ، وان نقبل رجاءها، ولكم علينا الا نعترف باسرائيل الا بعد ان تعترف بها جميع الدول ، وارجو ان نستطيع التكفير عما مضى بما هو آت من مواقفنا نحو قضاياكم، **ولكن ثقوا ان لسان القوة هو وحده الذي تستطيعون ان تخاطبوا بهالعالم والتضحيات هي أبلغ وسائل الاقناع ولكنكم سبع دول ذات سبعة جيوش الا تعرفون ان النصر مكتوب لكم اذا اتحدتم في دولة واحدة ذات جيش واحد مهما تكن قوة خصمكم ؟!»**

فقلت : « اجل ، والامة العربية صائرة الى الاتحاد والى الخلاص من تجزئة فرضها عليهم العدو الغاصب فرضا .»

فقال : « لا تستهينوا بعدوكم وبمن يؤازره ... انكم لن تغلبوه دويلات متفرقة !»

وهنا كان الليل قد اكتهل ،واوشك ميزان النهار ان يميل ، فودعته مهرعا الى مجتمع الجالية التي احتشدت قبل مطلع الفجر ، وقصصت عليهم من انباء الزيارة ما قصصت . وقبل ان اسير والجمع الى المطير انبرى فتى تلحمي من ال فريج يقول في قلق وروع مضطرب : تردد الانباء

نشرت في « الحياة » العدد ٢٤٣٤ ، الصادر في ١٠ نيسان ١٩٥٤

احتمال قيام هدنة بين العرب واليهود ونحن لا نصدقها ونعلم صهيونية مصادرها ، ولكننا نحب ان نسمع منك ما يطمئننا !

فقلت ، ويشهد الله انني كنت مخلصا فيما قلت : هذا مستحيل ... لن يلصق بجبين امتكم العربية مثل هذا العار فاطمئنوا !

وكان الوداع في المطير على امل اللقاء في فلسطين ، يوم يجيء نصر الله والفتح فيعود المغتربون الى وطنهم ويحلون بكفاياتهم واموالهم وجهودهم محل اليهود ، ويسعدون، ويسعد وطنهم الظافر بعودة ابنائه البررة العاملين .

وطارت بي الطائرة الى نيويورك ، ليخرق فيها صماخ اذني نبأ تلك الهدنة ، بل نبأ ذلك العار المخزي والاهانة المهينة ...

اما سوموسا فقد ظل اسمه يتردد على لساني ، لان رسمه انطبع في ذهني ...

وتردني هذه الايام صحف عربية تصدر في الارجنتين ، فاقرا فيها ان سوموسا زار الارجنتين، وانه اطل على مئات الالوف الحاشدة في بونس ايرس تحييه يوم الولاء للرئيس بيرون ، وانه دعا في حرارة الى اتحاد جمهوريات اميركا اللاتينية وانهى خطابه بقوله : « ايها السادة سيأتي اليوم الذي ننشد فيه جميعنا نشيدا واحدا ، هو نشيد اميركا» .

ويزور الجنرال الرئيس سوموسا بوغوتا عاصمة جمهورية كولومبيا ويرسل فيها عقيرته مدوية في افاق القارة اللاتينية : « انني ادعو الى قيام جمهورية واحدة لاميركا الوسطى كلها بدلا من جمهورياتها العديدة ، انني ادعو الى انتخاب رئيس واحد، والى ان تكون احدى عواصم اميركا الوسطى عاصمة العواصم ، ولتكن هذه بالمناوبة في كل سنتين ، اذا تعذر الاتفاق على واحدة ، واذا تم هذا الاتحاد العظيم فان رؤساء الجمهوريات والمجالس الاشتراعية والوزراء يبقون في وظائفهم حتى يتم التفاهم على الصيغة النهائية التي تنتهي بقيام الدولة الاتحادية الكبرى ، واما انا فمتنزل عن رئاسة جمهورية نيكاراغوا فور اعلان قيام الجمهورية المتحدة لاميركا الوسطى » .

قرات هذا وقلت لنفسي : هل في العرب سوموسا واحد ؟

***

وبعد فاني ما عرفت امة من امم الارض تحتاج الى الاتحاد ، الى المدى الذي لا تستقيم لها حياة شريفة من دونه ، بل الى المدى الذي لا يكون لها وجود الا فيه ، حاجة هذه الامة العربية اليه .

وما عرفت كذلك امة تتوافر فيها جميع عناصر الاتحاد وحوافزه ومقتضياته ودواعيه كالامة العربية.

ولكنني ما عرفت كذلك امة يكثر فيها ، من ابنائها ، الزاهدون في اتحادها ، والصادفون عنه، والمناوئون له ، كهذه الامة العربية . وما عرفت كذلك امة لها من الاعداء من يترصدونها ويتربصون بها،وينذرون ما استطاعوا من قوة للحيلولة دون اتحادها ، ويبذلون فوق الجهد لاستبقائها ضعيفة واهية ، واهنة ، مترهلة ، مجزاة كهذه الامة العربية .

وحين يلتقي اعداء الاتحاد مع اسرائيل في صعيد واحد، وحين تتشابه لهجة المذياع الاسرائيلي واقلام كثيرين يحسبون في التعداد عربا، والسنة الذين يكسون معارضتهم

لكل اتحاد ثوب التطرف فى الوطنية ورداء الغيرة على القومية ، اقــول حينئذ : ليست الولايــات المتحدة وبريطانيا وحدهما حليفتي اسرائيل وانما لاسرائيل بيننا معشر العـرب عن غفلة او قصر نظر او ســوء نية ، حلفاء واي حلفاء !

ومن مظاهر محنة الدعوةالاتحادية ان يضطر اخوانها الى البرهنــة على ان الاتحاد ((مفيد)) . وهــل يبتلى المنطق بمهمة ألعن منان يسخر للاقناع بان الهواء ضروري للتنفس، وان الغذاء لا منتدح عنه للبقــاء وان تجد من يجادل فى هذا ، ومــن يحاول البرهنة على عكسه ؟

ومما تعانيه الفكرة ان العمــل للاتحاد لا يزال فى نطاق ((التحبيذ))، وان تحس انك قد ربحت حين تقنع عربيا ان الاتحاد خير من التجزئـة، وارجو الا اكون مبالغا حين ازعم ان الاشتغال فى حقل الاتحاد لا يزال فى دائرة الترف المبدئي ، وليس بعيدا عن نطاق التسلية ، اي انه لا يـزال بعيدا من دائرة الجـد الموصـول المدروس ، المنظم ، الجد الذيستوقد جذوته من الايمان الراسخ بان قضية الاتحاد هي قضية الوجود لهذهالامة العربية وقضية الكينونة لهذا الوطن العربــي !

قلت : ان القضية قضية « وجود» وكل ما فى الدنيا دون « الوجــود » اهمية . ما الاستقلال ، ما الحريـة، ما السيادة ، ان لم يكن وجــود ، وان لم يكن الانسان المستقل الحـر السيد ؟

والاردن فى نشدانه الاتحاد انمـا يريد ان يطمئن قبل كل شيء الىانه موجود ...

ان « انسانية » الاردن منوطــة باتحاده بقطر-عربي اتحادا يحول دون فنائه اولا ، ويضمن له الحياة الكريمة ثــانيا .

ورب متفائل يقول لك ــ وهو على حق : ان الحملات التي يشنهــا الاعداء، والشعوبيون ، والمغرضون ، على الدعوة الاتحادية انما هي الآيــة ابلغ الآية ، على حيوية الفكرة وخطرها وجلال شأنها والاقتراب ــ وان كان بطيئا وئيدا ــ من تحقيقها ، ومــا كانت هذه الزوابع لتثور امامها لولا انها تكاد تدخل مرحلة الجــد ، وها هو « الضمان الجماعي » الذي اجمعت الدول العربية على الاشتراك فيه لم يلق بعض ما تلقاه الفكــرة الاتحادية من حملات ، ذلك **لان اشتراط الاجماع فى الضمان الجماعي كفيــل بفقدان عنصر الجد والخطورة فيــه ،** واي جد ترجوه فى اجمــاع عجـز حتى الان عن الغاء سمات السفر بين الاقطار العربية ، وعجز حتى عــن توحيد المصطلحات العسكريـة بين الجيوش العربية، بله توحيد قيادتها ؟

وما هددت اسرائيل وماتوعدت يوم قيل : «هناك ضمان جماعــي » كما تهدد وتتوعد امام الدعــوة الاتحادية ، ومــا احتجت فرنســا يومئذ كما تحتج على فكـرة الاتحاد السوري ــ العراقي ، وما رفعــت الصحف التركية عقيرتها بالامــس كما هي فاعلة اليوم .

واما الاقليميون والشعوبيون فقد اكتفوا من الضمان الجماعي بالسخرية منه ، ولكنهم يتظاهرون اليوم فــي حماسة وفى عنف ضد الاتحــاد بين اي قطرين عربيين !

والبيان الثلاثي ، وفيه تتعهــد الدول الثلاث : الولايات المتحــدة وبريطانيا وفرنسا بديمومة الاوضاع الراهنة فى الشرق الاوسط ، ماتحرك

وما كان له ان يتحرك ، يوم اعتدت اسرائيل على العرب فى قبيه .

ولكنه اخذ يتحرك الان،لان الاتحاد من شانه ان يؤدي الى تبديل وتعديل فى الاوضاع الجغرافية الراهنة ،وهذا مالا ترضى عنه اسرائيل .وما لا يرضى الوليد اليهودي ، لا يرضى عنه آباؤه الثلاثة . واقسم ان الغرض الاول للبيان الثلاثي هو حماية اسرائيل من وثبة عربية محتملة تهدف الى القضاء على الاوضاع الراهنة ، ومن هبة قومية تقضي على اسرائيل وتعفي على اثارها وتنقذ العرب من مهانة وجودها دولة قائمة في وطنهم. ولما كانت نقطة الانطلاق نحو تلك الوثبة الثائرة هي الاتحاد فليكن البيان الثلاثي اذن ميثاق الاستعمار المتحد المتآمر وعهد الدول الثلاث للابقاء على التجزئة بين الاقطار العربية .

والتجزئة العربية كانت ولا تزال لاسرائيل سر البقاء وسر الحياة وسر النماء .

كامل مروه

الاتحاد من وجهة النظر اللبنانية

تناست الصحف اللبنانية بمجموعها في الاسبوع الماضي المشاكل المحلية وانصبت على معالجة موضوع واحد: القضية السورية وعلاقتها بالشؤون العربية عامة، وبمشروع الاتحاد مع العراق خاصة.

ولقد انكر بعضهم على الصحافة اللبنانية هذا الاجماع، وذهب اخرون في التأويل الى حد التجني والتعريض. ولكن ذلك لا يمنع الصحافة اللبنانية من التمسك بحقها في معالجة القضايا العربية عامة، والسورية خاصة، معالجة مستمرة، لانها تتصل بلبنان اتصالا وثيقا لا يمكن تجاهله.

لماذا تهتم الصحف اللبنانية بمشروع الاتحاد بين سورية والعراق؟

هذا هو السؤال الذي طالما تردد في دمشق وفي القاهرة، بل وفي بيروت. ولكن هذا السؤال يظل اكتع، اذا لم يتوفر الجواب عليه. وعندئذ تنبثق عنه اسئلة اخرى تخرج بالموضوع اصلا من النطاق السوري ـ العراقي، الى النطاق العربي العام.

تمتد الحدود اللبنانية مسافة ٦٠ كيلومترا على محاذاة الحدود الفلسطينية المعروفة الان بحدود « اسرائيل »، وهي مسافة طويلة جدا، لا يستطيع الجيش اللبناني الفتي ان يحميها وحده. واذا استطاع لبنان ان يقدم العدد الكافي من الرجال فانه لا يملك الموارد المادية اللازمة لتمويلهم وتجهيزهم.

وقد تجلت هذه الحقيقة اثناء « معركة » فلسطين، اذ طلبت الحكومة اللبنانية الى سورية ارسال بعض وحدات من جيشها الى الحدود اللبنانية للاشتراك في حمايتها، وظلت هذه الوحدات مرابطة عندها الى ما بعد الهدنة.

وقد لبت الحكومة السورية يومئذ الطلب اللبناني بلا تردد، لان حدود البلدين تؤلف وحدة لا تتجزأ بالنسبة الى فلسطين، فاذا توغل اليهود في لبنان دخلوا سورية، واذا توغلوا في سورية دخلوا لبنان.

على أن الحوادث ما لبثت ان اثبتت ان اللبنانيين والسوريين ليسوا قادرين وحدهم على الدفاع عن حدودهم، اذا ما انصب اليهود عليها بجميع قواهم. وقد دفع اللبنانيون ثمن هذه التجربة غاليا، يوم اقتحم اليهود الحدود الجنوبية، وتوغلوا في بعض المناطق حتى نهر الليطاني، وظلوا مرابطين، رغم لبنان وسوريا ورغم الدول العربية كلها، الى حين توقيع الهدنة.

لقد كانت هذه التجربة قاسية فعلا، وعلمتنا ان نتطلع بحذر الى المستقبل. اننا نعرف ان اليهود

نشر في العدد ١١٢٠ من « الحياة »، الصادر في ٤ كانون الثاني ١٩٥٠

عازمون على التوسع . ومن الطبيعي ان تضيق حدود اسرائيل الحاضرة عن استيعاب الالوف المؤلفة من المهاجرين ، الوافدة على ارض الميعاد من كل صقع . وقد صارحنا اركان اسرائيل اكثر من مرة بعزمهم على التوسع حالما يهضمون ما ابتلعوا ، ورددوا على مسامعنا العبارة التالية : « من النيل الى الفرات . . . حدودك يا اسرائيل ! » . هكذا جاء في توراتهم ، وهذا ما يسعون الى تحقيقه في هذا الجيل .

ازاء هذا الخطر القائم ، من يحمي حدود لبنان ؟ واذا تساءلنا عن حدود لبنان وجب علينا ان نتساءل : ومن يحمي حدود سورية ؟

ان البلدين بحاجة الى جيشين مؤلفين من ثمانين الى مئة الف جندي لكي يستطيعا صد كل عدوان اسرائيلي . وقد ثبت بالبرهان الحسي ، انهما عاجزان عن تأليف جيش بهذا العدد . وهذه تجربة الزعيم حسني الزعيم ماثلة للعيان ، وقد كادت تخرب مالية سورية ، ان لم تكن قد خربتها فعلا !

اذن ماذا العمل ؟

امامنا ثلاثة احتمالات لا رابع لها :

١ ـ اما ان يعقد لبنان وسورية الصلح مع اسرائيل ، وقد يحل هذا الصلح المشكلة زمنا قصيرا ، ثم تتجدد المشكلة بمجرد تضخم عدد السكان في اسرائيل ، فتعود سياسة التوسع ، كما كانت تفعل المانيا .

٢ ـ واما ان يعقد لبنان وسورية تحالفا مع دولة اجنبية كبرى لحمايتهما . ولا ادري من في دمشق وبيروت يجرؤ على التلفظ بكلمة معاهدة عسكرية مع اميركا او انكلترا او فرنسا او روسيا ، مع العلم بان هذه الدول ليست مستعدة اصلا للتعاقد معنا لمصلحتنا ، ولو بثمن باهظ !

٣ ـ بقي الاحتمال الثالث والاخير، وهو البحث عن السلامة ضمن المجموعة العربية . انه الحل الارخص ثمنا ، والافضل نتيجة والاسهل تحقيقا .

ولقد اشركنا لبنان وسورية معا في هذه الاحتمالات ، على اعتبار ان كلا منهما يؤلف ـ جغرافيا وعسكريا ـ ممرا للاخر ، فما يصيب احدهما منفردا يتسرب بصورة طبيعية الى الاخر ، فيجتمعان في النتيجة على حد سواء .

هكذا اتجهت الانظار في لبنان بعد كارثة فلسطين نحو الاحتمال الثالث ، نحو التعاون العسكري العربي . وكان الاهتمام بالموضوع على اشده ، لان لبنان ذاق ـ دون سواه من الدول العربية ـ طعم الاحتلال اليهودي .

وكان طبيعيا ان يربط لبنان سلامته بسلامة سورية ، للاسباب التي بسطناها ، فعاد يتساءل : من يحمي سوريا لكي تحميني ؟

لندع الاعتبارات القومية جانبا . لندع الماضي العربي المشترك جانبا . لنضع الحركة العربية الاساسية جانبا ، ولنحصر البحث في الناحية العسكرية المحسوسة ، دون سواها ولنجرده من كل عاطفة قومية ، ولنكرر السؤال : من يحمي سورية ويحمي لبنان ؟

جيشاهما لا يستطيعان حمايتهما، وكلاهما لا يريدان اية حماية اجنبية.

لا بد اذن من قوى عربية اخرى

تنضم اليهما ، لكي تتألف القوة الشاملة الكافية ، فمن اين نأتي بهذه القوة ؟

لقد فصل قيام اسرائيل بين دول المجموعة العربية ، فعزل مصر برا عن بلاد الشام ، فلم يعد بالامكان الاعتماد عليها اعتمادا مباشرا في قلب الجبهة المحلية ، الا كجناح جنوبي .

واما السعودية فانها لا تملك حتى الان جيشا عسكريا بالمعنى الحديث، فهي ليست واردة اذن في الحساب . هكذا لم يبق امامنا سوى الاردن والعراق ، على اعتبار ان الحدود الجغرافية والمواصلات هي التي تقرر مصير الجبهات .

كان في استطاعتنا ان ندعو للاتحاد المعجل بين سورية ولبنان ، او بين لبنان وسورية والعراق والاردن . ولكن الاماني شيء والممكن شيء اخر .

ان لبنان يتمتع بوضع داخلي فريد من نوعه بين جميع الدول العربية ، فلا يجوز اذن ان نبحث في اي موضوع اتحادي يمسه ، اذا كان في هذا الموضوع ديناميت ينسف وحدته الداخلية . ذلك ان قيمة لبنان للقضية العربية قائمة في بقائه موحدا كله في الحدود الحاضرة ، فاذا تفسخ او انهار ، ضاعت الفائدة منه . وخسر العرب بذلك خسارة لا يعوضها انضمام اقضية اربعة الى سورية ، او ما شابه ذلك . فلا بد اذن من استبقاء لبنان جانبا في هذا البحث ، الى ان يقرر اللبنانيون اتجاها اخر .

ورب قائل : ما دمتم تستبقون لبنان بمعزل عن الغاية الاتحادية ، فلماذا التدخل اذن في شؤون غيره ؟ ولماذا تطلبون الاتحاد لسواكم ؟

الجواب هو في الاوضاع الجغرافية التي تجعل سلامة سورية رهن ما يجري في لبنان ، والعكس بالعكس . وسواء ارضي لبنان بالاتحاد ام لم يرض ، فان سلامته تظل جزءا لا يتجزأ من سلامة سورية . هذا هو السر في هذه الحدود السياسية التي قد تفرق بين الحكومات ، ولكنها لا تستطيع ان تفرق بين السلامة الواحدة والمصلحة الواحدة .

ولو افترضنا ان الاتحاد بين سورية ولبنان ممكن حالا ، فان هذا الحل لا يحل شيئا . ذلك انهما ضعيفان عسكريا ، فلا ينشأ عن اتحادهما قيام القوة العسكرية التي تستطيع حمايتهما . وليس باستطاعة لبنان ان ينشد اي اتحاد مع اية دولة عربية اخرى ، دون ان تكون سورية داخلة قبلهفيه ، لانها تحيط به جغرافيا من كل جانب (ما عدا جهة اسرائيل) .

هكذا استثنينا لبنان ، الان ، وبقي في الميدان سورية والاردن . وهنا نصطدم بالعقبة ذاتها : عقبة الضعف المشترك . فالدولتان لا تستطيعان تأليف القوة العسكرية اللازمة للدفاع عن حدودهما ، فلا فائدة من تفنيد هذا الاحتمال .

واما الاحتمال الثالث، اي الاتحاد بين الاردن والعراق فانه لا ينفع سورية ولبنان مباشرة ، ولا يحمل الى حدودهما القوة العسكرية المطلوبة ، وان كان ضروريا لحماية الاردن ، وبالتالي يحمي سورية ولبنان .

بقي امامنا اذن الاتحاد بين سوريا

والعراق ، فهما الدولتان العربيتان القادرتان فى هذه البقعة على تأليف جيش قوي من مئة الف جندي ، تدعمه موارد البترول والقمح والتجارة والصناعة .

هذا الجيش يستطيع اذا رابط على حدود اسرائيل ان يحرمها الطمأنينة وان يستنزف مواردها وان يسحقها اذا لزم الامر . وليس هذا الرأي رأيي فحسب ، انه رأي بن غوريون ايضا في بيانه الاخير ورأي كل عاقل ، فلا مجال في حقيقته .

اننا نؤمن بالاتحاد بين الدول العربية لاسباب قومية ووطنية وسياسية ونعتقد ان هذا الاتحاد آت ، ولا بد من يوم تنهار فيه كل عقبة في طريقه من أي نوع كانت . ولكن الخطر العسكري المحدق بنا ، هو الذي جعلنا نلح في استعجال الاتحاد ، ونطالب بتحقيقه حالا ، بأي ثمن ، لان كل خطر يهون امام الخطر اليهودي . والخطر اليهودي معناه ضياع الربح وراس المال ، كما جرى في فلسطين .

فى وسط هذا الجو طلعت علينا الجامعة العربية بمشروع الضمان الجماعي . ورحبنا جميعا بمشروع الضمان ، وصفقنا له كثيرا وفضلناه على اي اتحاد ثنائي . اليس الاجماع هو منتهى الامال ومحط الرجاء؟ اليس الضمان الجماعي هو خير ضمانة لحدود كل قطر عربي ؟ الا يجمع الضمان الجماعي من القوة العسكرية اضعاف ما قد يجمع الاتحاد بين سوريا والعراق ؟

ومرت الايام ، واذا بمشاريع الضمان الجماعي تنكشف من الاعيب سياسية .

لقد نشرت نصوص المشاريع المطروحة على بساط البحث ، فهل وجد فيها احد ما يضمن سلامة حدودنا ، ويجعلنا ننام على حرير في ظلها ؟

هذا السؤال موجه الى كل سوري والى كل لبناني . والجواب عليه لا يمكن ان يكون الا سلبا ، لان المشاريع المعروضة كانت كلها نظرية ، قوامها العبارات الفارغة والحبر على الورق . وكان المشروع الذي قدمته سورية (اي مشروع ناظم القدسي الاتحادي) هو المشروع الوحيد الصالح ، فرفضت الدول الاخرى فكرته بمجرد عرضه عليها ، وهكذا انهارت عملية الضمان الجماعي ، فلم يبق بد من العودة الى مشروع الاتحاد بين سوريا والعراق بصورة طبيعية . ثم قام بعض ضباط الجيش السوري بالحركة الانقلابية الاخيرة وكان ما كان !

وقد يقول بعضهم : وما يضمن لنا ان يتعاون الجيش العراقي معنا ؟ الم يكن في فلسطين مقيدا بارادات فوق ارادته ؟

هذا الاعتراض صحيح . ولكن اذا كنا نريد اعتباره ابديا ، فاننا نتساءل : وما الفائدة اذن من الضمان الجماعي ؟ ايقوم ضمان جماعي لسوريا ولبنان دون العراق والاردن ؟ واذا لم يقم ضمان جماعي ، او اتحاد ثنائي ، فماذا نفعل ؟

اننا نريد جوابا على هذا السؤال من الذين يحاربون المشاريع الاتحادية . نريد جوابا مجردا من التعابير « الديماغوجيه » ، ومن الاهواء السياسية والشعوبية والشيوعية ، ومن مصالح العروش والمناصب والشهوات الشخصية والماجورة . ذلك ان قضية الاتحاد او الاتحادات لا يمكن ان تكون قضية حكومات .

انها قضية انقاذ ، اذا وقف في طريقها عقبة مهما كان نوعها ، يجب ان تزال باية طريقة كانت .

ورب قائل : ان العراق مقيد بمعاهدة مع بريطانيا ، والعراق يعيش في ظل ملكية حاكمة ، فلا يمكن التعاقد معه !

وهنا نجيب على ذلك : وكيف نتعاقد اذن مع العراق ضمن مشروع الضمان الجماعي ؟ اليس التعاون العسكري في هذه البقعة من الطوق الحربي حول اسرائيل ، رهن التعاون بين سوريا والعراق دون سواهما ؟ واذا صح ان يتعاونا ضمن الضمان الجماعي ، فليس ما يمنع تعاونهما في غيابه !

هذا عرض عام للاعتبارات العسكرية الحيوية التي جعلتنا في لبنان نطلب الى سوريا عقد اتحاد عسكري واقتصادي مع العراق ، بصرف النظر عن الانظمة السياسية المختلفة .

نعود الان الى صلب الموضوع . ان حدودنا — وهي حدود سورية ايضا — ما تزال مفتوحة ، لا تحميها قوى كافية ، فالمشكلة اذن ما تزال مطروحة على بساط البحث .

وتدل الدلائل على ان اركان الحكم السوري الجديد يرغبون في العودة الى مشروع الضمان . ونحن نرحب بهذا المشروع كما اسلفنا ، شرط ان يكون الضمان قائما على براهين حسية نطمئن اليها ، اي على جيوش معبأة تعبئة مستمرة ، ومرابطة في مواقع الخطر بصورة دائمة ، تدعمها قيادة موحدة ، واسلحة منسقة ، تغذيها نجدات لا تنقطع ، ولا تتأثر باهواء هذا الحاكم او ذاك ساعة التنفيذ .

هذه هي الشروط الصحيحة للضمان الجماعي ، فان امكن تحقيقه على اساسها كان الضمان بركة ، والا فلن يكون ضمان .

واذا افترضنا ان الضمان لم يتحقق فماذا تفعل سوريا ولبنان ؟ لا يبق امامنا سوى مشروع الاتحاد العسكري والاقتصادي بين سوريا والعراق ، فاذا اقيمت في وجهه العقبات القسرية فلا يبقى امام سورية ولبنان سوى أحد امرين : اما الصلح مع اسرائيل ، او عقد معاهدة مع دولة اجنبية !

واذا طال المطال ، فقد تنفرد احدى الدولتين بتلك الخطوة ، وتجر معها الدولة الاخرى في المنزلق المشترك طوعا او كرها . . .

وبعد ، لقد جردنا هذا البحث من جميع الاعتبارات القومية ، ومن عناصر الاخوة المشتركة والمصلحة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، وعدنا به الى ضرورات الموقف العسكري ، لا اكثر ولا اقل .

ومن له اذنان سامعتان فليسمع!

كامل مروه

اكرم زعيتر

الاردن ـ هـــذه الحقيقة الراعبـة

المعروف السائد بين العرب ان الاردن هي اليوم خط النار الاول فى وجه اسرائيل، ومصيرها يقلق بال الشعوب العربية كافة ، ولكن هذه الدولة الصغيرة، ما الحقيقة عنها ؟ وما سبيل خلاصها ؟ هذا ما يبسطه كاتب المقال فى بحثه التالي، يفتح به عيون العرب على واقع الحال .

★★★

معاهـدة ١٩٤٨

لا تزال اعتداءات اليهود على العرب فى الاردن تتوالى ، ولم يكد الضجيج حول اعتداء « قبية » يخف حتى جاء اعتداء «نحالين» .

ويتساءل الاردنيون وغير الاردنيين فور كل اعتداء عن موقف هذه الدولة «الحليفة » التي تعاقـدت والاردن سنة ١٩٤٨ فى معاهدة .

وطالما كانت دقة الوضع الراهـن فى الاردن ، وعلى الاخص بعد الكارثة الفلسطينية ، لاعظم المسوغـات التي يسوغ بها المسوغون وجود هذه المعاهدة ، وربما بث خصوم الدعوة الاتحادية روح الطمانينة فى النـاس زاعمين ان هذه المعاهدة تستطيـع وحدها بما تبذله من عون مادي وبما تقدمه من مدد عسكري ان تطعـم الاردنيين من جوع وان تؤامنهم مـن خـوف .

ونتطلع الى مندوبي بريطانيا فى مجلس الامن او فى هيئة الامم المتحدة حين تعرض شكاوى الاردن فنرى ان «الحليفة» بريطانيا ان هي لم تتآمر مع الولايات المتحدة على الجانب العربي ضلوعا مـع الصهيونية ومظاهرة لها ، فانهـا لن تقف فى حال الموقف الذي ينقع غلة العرب المظلومين او يشفي بعض غليلهم .

ولست ادهش لهذه المواقف المتفقة مع خطتها المعروفة وانا الـذي اذكر ان رئيس وزرائها المستر تشرشل لم يتورع عن الجهر فى زحمة الاعتداءات اليهودية بانه يصلي للصهيونية فى حرارة داعيا ربه ان يحقق اهدافها وان يبلغها امانيها .

ومع ذلك فهنا وهناك قائلون : ان هذا كله كلام تذروه الرياح ولا يثبت امام نصوصه معاهدة صريحة .

وتقع حادثة نحالين، ويثار الحديث عنها فى مجلس العموم البريطاني، ويدلي المستر ايدن ، وزير خارجية بريطانيا ببيان يقطع قول كل خطيب اذ يقول :

«ان ارتباطات بريطانيا بالمعاهـدة البريطانية الاردنية عام١٩٤٨ لاتتطلب

نشر فى « الحياة » العدد ٢٤٤٦ ، الصادر فى ٢٥ نيسـان ١٩٥٤

من بريطانيا اي عمل في الوقت الحاضر اذ تقضي المعاهدة على بريطانيا كاجراء للامن الجماعي ان تقوم مباشرة بمساعدة الاردن اذا دخلت حربا ، ولكن – وهنا بيت القصيد – هذا الارتباط خاضع اولا لواجب الطرفين المتنازعين في ان يجدا حلا سلميا لمنازعاتهما كما يخضع ثانيا لارتباطات بريطانيا بميثاق الامم المتحدة . »

نتلو بيان ايدن ثم نرجع الى المعاهدة فنقرأ ما ورد فيها من نصوص تتعلق بالتزامات بريطانيا نحو الاردن في مجال الدفاع عنها فنجدها تقرر موقف بريطانيا في حالين : الاولى حين يكون بين احد فريقي المعاهدة وبين دولة ثالثة نزاع ينذر بقطع العلاقات معها ، والثانية حين يشتبك احد الفريقين مع تلك الدولة في حرب .

وهاتان الحالتان تعالجهما المادتان الثانية والثالثة من المعاهدة ، ونرى قبل ايرادهما ان نذكر المادة الرابعة التي تليهما ، لانها في اعتقادنا تفسح كل اهمية لتينك المادتين بما نصت عليه من تحفظات تجد فيها بريطانيا الفتوى كل الفتوى لتوسيع احجامها عن الوقوف موقف الظهير المؤازر الفعال للاردن ، **وهذه المادة الرابعة التي تفتح بتحفظاتها امام بريطانيا مجال التسويغ لنسف كل التزاماتها ، تنص : « ليس في هذه المعاهدة ما يرمي الى الاخلال او ما يخل باي حال من الاحوال بالحقوق والالتزامات المترتبة ، او التي قد تترتب على اي من الفريقين الساميين المتعاقدين وفقا لميثاق الامم المتحدة او وفقا لاية اتفاقات دولية مرعية وعهود او معاهدات » .**

ونعود الى المادة الثانية فنراها تنص على انه : **« اذا نشأ نزاع بين اي من الفريقين الساميين المتعاقدين ودولة ثالثة ونتج عنه وضع قد يؤدي الى خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتشاور الفريقان الساميان المتعاقدان معا للنظر في تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقا لاحكام ميثاق هيئة الامم المتحدة ولاية التزامات دولية اخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة . »**

واما المادة الثالثة فتنص على انه :

« اذا اشتبك احد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب رغم احكام المادة الثانية من هذه المعاهدة فعلى الفريق الاخر المتعاقد ان يبادر فورا الى مساعدته كاجراء للدفاع الاجماعي بشرط التقيد دائما باحكام المادة الرابعة من هذه المعاهدة ، وفي حالة خطر اشتباك عدائي مداهم يقوم الفريقان الساميان المتعاقدان فورا بالتشاور مع بعضهما حول الاجراءات الضرورية للدفاع . »

اذا طالعنا هذه النصوص الثلاثة استطعنا ان نفهم بيان المستر ايدن الاخير فهما جيدا واستطعنا ان نقرر **انه اذا لم تدفع « روح المعاهدة » بريطانيا الى مساعدة الاردن في رد العدوان عليها فان في نصوصها مجالا رحيبا لتأويل التقاعس وميدانا فسيحا لتسويغ الافلات من اية التزامات اومات اليها المعاهدة .**

وما اردت بما اسلفت الا ان ابين بان المعاهدة المذكورة لن تنقذ الاردن وهي مذ ابرمت لم تدفع عنه شرا ، واعتماد الاردن عليها لا يجعلها في مأمن من غدر اليهود في الحرز الحريز من عدوانهم .

اقول هذا واجهر في اصرار بانني لا اطمئن في حال الى مصير الاردن ولو صيغت المعاهدة مع بريطانيا على الطراز الصريح الواضح الذي يحتم على بريطانيا ان تبادر فورا ومن

دون تردد وتحفظ الى نجدة الاردن بالقـــوة حـــين يعتدى عليهـا .
أجل انني لا اطمئن الى المعاهدة حتى ولو كنت انا الذي صغتها وانا الـذي امليت بنودها ، اذ علمتنا التجارب بان قوة الدفاع ان لم تكن مستمـدة من « ذاتية » الامة ومن بنيتها ومـن قدرتها على المقاومة فان المعاهـدات مع الأجنبي لا تغنيها ولا تدفع الشر عنها ، فكيف اذا كان هذا الاجنبـي هو ذاته اساس بلائها وسرشقائهـا وخالق الخطر الذي ينذرها ومتعهده بالرعـاية ...

انني ما احسب ان نصوصا بلغت من الصراحة ما بلغه صك الانتـداب الفرنسي على سورية وصـــك الانتداب البريطاني على فلسطين ، والصكان عقدان دوليان تعهدت ثانك الدولتان برعايتهما امام دول الدنيـا قاطبة ، وهما يتطلبان من الدولتين الا تفرطا في شبر من الارض التـي اؤتمنتا عليها .

ومع ذلك فان فرنسا تنازلت عـن الاسكندرونة لتركيا واقامت انكلترا اسرائيل في فلسطين ،وليس مستحيلا ان تسلمها ما تبقى من اشلاء فلسطين وغيرها ولو كانت بينها وبين الاردن مئة معاهدة ومعاهدة !

وانتقل بعد ذلك الى البحث فـي موازنة الاردن لاتساءل ويتســاءل معي كل من اطلع عليها : اهـــذه دولة يكتب لها الاستمرار وتقوى على الثبات في الاعصار ؟

موازنة مدهشـــة !

ان ما يهمنا ان نعرفه ويعرفـــه الملأ من موازنة الاردن هـــو واردات الموازنة لانها ترمز الى ينابيع القـوى الاقتصادية التي تقوم عليها ماليـــة الدولة فدونك بعض الارقام وهـــي فصل الخطاب :

ان مجموع ما يدخل الـــدولةمن مكوس وجمارك وضرائب ورســوم محاكم وبرق وبريد وهاتف واجـور املاك الدولة وغـــيرها من واردات داخلية تجبى من الشعب هـــو ٥،٩٢٦،١٣٥ دينارا .

ويبلغ مجموع الاعـــانة الماليـة البريطانية التي تقدمها بريطانيا للاردن سنويا : ٨،٧٧٧،٥٠٨ دنانير .

ومجموع ما تقدمه بريطانيا للاردن قروضا بلا فائدة لمشاريع الاعمـــار هو ١،٦٠٠،٠٠٠ دينار .

اذا نحن جمعنا الدخل كلـــه بريطانيا وداخليا ، واذا اضفنـــا اليه المستعمل من الفيض المـــدور كان الحاصل : ١٦،٥٩٩،٩٨٦ دينارا وهو رقم الموازنة السنوية .

وهذه الارقام تريك بجلاء انالموارد المحلية الحقيقية الـــذاتيـــة لدولة الاردن لا تسدد اكثر من ثلث الموازنة الا قليلااما الثلثانفتسددهما اعانة بريطانيا واعانات اخرى .

واعجب ، اي عجب ، لدولة يتالف ثلثا موازنتها من الاعـانة البريطانيـة ومن وكالة الغوث ، واما الثلث الباقي الذي يجبى من الشعب فليس فيـه ما ينفق على مشاريع للانتاج تجـعل البلد في حال ما قادرا على الاستغناء او بعض الاستغناء عن العون الاجنبي

ولعلك تفكر بانه اذا تصاعـدت الضرائب والرسوم المفروضة علـى الشعب فقد تستطيع الـــدولـــة الاستغناء او بعض الاستغناء عـــن الاعانة البريطانية .

ولكنك اذا علمت ان معـدل مـا يدفعه المكلف الاردني الواحـــد

سنويا من ضرائب هو نحو اربعة دنانير ، واذا علمت ان ثلث السكان من اللاجئين الذين يعيشون على ما تقدمه لهم وكالة الغوث من قوت ضروري وان الثلثين الاخرين ليسا احسن حالا من اللاجئين ، اذا علمت ذلك ادركت استحالة «الترقيع» المالي مع بقاء الوضع السياسي الاردني على حاله الراهن وكيانه الحاضر !

وتعال بعد ذلك نعرف ما ينفق من هذه الواردات على الجيش وعلى الشرطة والدرك والسجون وهي تابعة للجيش،فنجد انها ٨،٧٧٧،٥٠٨ دنانير ، وهذا الرقم هو ذات الرقم لمقدار الاعانة البريطانية السنوية !

نعم انه نفس الرقم وعينه،فاعجب يا صاح ، اي عجب ، لدولة تنشد البقاء وتجاور عدوا ، لدودا ، لئيما، غدارا ، طامعا ، وينفق على جيشها وحامي ذمارها وعلى قوات امنها اجنبي هو ـ كما اسلفنا ـ المسؤول الاول عن وجود ذلك العدو ودعمه وخالق ذلك الخطر المهدد ، المنذر والكفيل باستمراره !

سر الاعانة

وتعال بعد ذلك نبحث في السر الذي يحمل ذلك الاجنبي على دفع هاتيك الاعانة الضخمة .

اهو ليتمكن الاردن من قتال اسرائيل والقضاء عليها ؟

اهو لرد عدوانها المستمر ؟

ام هو وليد عاطفة رؤوفة حانية من دولة شقيقة على دولة فتية شقيقة فدفعتها الى تسديد العجز الفادح في موازنتها ؟ ام هو لاغراض اخرى ؟ دونك اذن بنودا من الملحق العسكري للمعاهدة فعندها الخبر اليقين :

تقول الفقرة (ح) من المادة الاولى من الملحق العسكري :

« يقوم الاردن بحراسة وصيانة وتحسين المطارات والموانيء والطرق وسبل المواصلات الاخرى في المملكة كما تطلب غايات هذه المعاهدة وملحقها ويطلب مساعدة بريطانيا اذا استدعى الامر لهذه الغاية .»

وتقول المادة الثالثة من الملحق :

« ان بريطانيا تدفع الى الاردن جميع التكاليف التي قد تتحملها حكومة الاردن فيما يتعلق بتقديم التسهيلات وفقا للفقرتين (ح و د) من المادة الاولى للملحق » .

وقد ذكرنا الفقرة (ح) اما الفقرة (د) فتنص : « على الاردن ان يقدم التسهيلات اللازمة لاقامة وتأمين وحدات من قوات الطيران البريطانية في مطاري عمان والمفرق بما في ذلك التسهيلات اللازمة لخزن الذخائر والتجهيزات .»

هل علمت لماذا تنفق بريطانيا على الجيش الاردني هذا الانفاق؟ وهلا ادركت من هذه النصوص الصريحة **ان تلك الاعانة ليست هبة للاردن تنفقها على جيشها كما تشاء، وانما هي لتأمين مصالح عسكرية بريطانية وان هذا التأمين اذا انيط بها مباشرة فسيكلفها اضعاف اضعاف ما تبذله من اعانة سنوية ؟**

الا تستطيع بعد ذلك ان تفرض بكل قوتك ان بريطانيا لن تدفع هذه الاعانة اذا كانت تنفق في غير اغراضها ، وانها ، عقلا ومنطقا لن ترضى عن جعل هذا الجيش الذي تنفق هي عليه اداة تهدد تلك الاغراض وانها لن تمكنه من ان يتصرف التصرف الذي يعاكس اهدافها ، اذ يكفي ان تفاجيء الاردن بقطع اعانتها عنه حتى لا يكون هناك جيش على الاطلاق .

وهنا اود ان اشير الى حقيقتين لا يستقيم استمرار البحث من دونهما :

اولاهما ان الجيش الاردني مدرب تدريبا جيدا ومنظم تنظيما متقنا ، فهو فى ذاته قوة لها وزنها ، واداةلها اهميتها ودورها .

وثانيتهما انه يضم نخبة من الضباط والجنود الذين لا ينفصل حسهم الوطني عن احساس بني وطنهم ، وفيهم زمرة من الشبان الذين يتحرقون أسى على الفردوس العربي المفقود وتطلعا الى الثأر في الحين الموعود وفيهممن ابلى فى معارك القدس البلاء المعهود ، فهذا الجيش اذا اتيح له ان يكون حرا وفي المجموعة العسكرية لجيوش العرب فسيكون دوره خطيرا واثره عظيما .

وبعد هذا كله نقرر ان «التعامل» فى الاردن فيما يتعلق بالجيش قد تجاوز الى حد بعيد المدى الذي تحتمه نصوص المعاهدة ، فقائده الاعلى بريطاني وقواد الفرق والالوية ومعظم قواد الكتائب بريطانيون وموازنته يتم وضعها فى بريطانيا ولا يعرف وزير الدفاع تفصيلا عن ذخائره وعدده واجهزته وما ينفق فى كل باب . والشرطة والدرك والسجون تابعة لقيادة الجيش، مع ان واجبات الجيش الدفاعية غير هذه التي تتعلق بالامن .

ونعود الى المعاهدة فنفتش فيها عن مادة واحدة تشترط وجود قائد بريطاني على راس الجيش وعشرات الضباط البريطانيين فى مراكز القيادة وتحتم وجود بريطاني فى رئاسة استخبارات الجيش ، فلا نجدها ، ولا نجد فى المعاهدة شيئا من هذا سوى وجود بعثة تدريبية بريطانية اذا طلبت الحكومة الاردنية ولا تكون البعثة اذا لم تطلب الحكومة وجودها .

ونفتش عن مادة واحدة تجعل المنحة البريطانية مشروطة بايشرط من هذا كله فلا نجدها .

ونفتش عن مادة واحدة تحتم ربط الشرطة والدرك والسجون بقائد الجيش الذي هو بريطاني ونزعها من وزير الداخلية الذي هي اهم سلطاته بل المهمة التي لا يكون وزيرا للداخلية من دونها فلا نجدها.

واني لاذكر انه اشيع فى تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ ان الحكومةالاردنية ستحل البرلمان وستحكم البلاد بالجيش ، فصدر بيان من السفارة البريطانية فى عمان يؤكد ان ولاء الجيش الاردني انما هو للملك وحده وليس لاحد غيره ، ولم تستغرب الوزارة القائمة يومذاك صدور بيان يتعلق بولاء الجيش من السفارة البريطانية ، ونفتش نحن عن مادة واحدة فى المعاهدة تحتم « تبعية » الجيش الاردني للسفارة البريطانية فلا نجدها .

وما اكثر المعتدلين الذين يقولون : اذا قدر علينا ان نرتبط اليوم بمعاهدة فلماذا نتجاوزها منحا للانكليز وتنزلا عن سلطات عسكرية منا لهم ؟ لماذا نكون انكليزا اكثر من الانكليزانفسهم؟

ان هذا الوضع او هذا «التعامل» يؤثر الان كل التاثير فى مدى صدق التعاون العسكري بين الاردن وبين الدول العربية الاخرى ، وهو حجة طالما تذرع بها عسكريو البلاد العربية فى تعليل هذه النتائج التافهة التي تكون لاجتماعاتهم المتعددة واليه يعزى فقد عنصر المصارحة فيما بينهم فى موضوع السلاح والتجهيزات لدى كل جيش عربي .

وقد يجتمع قادة الجيوش العربية ورؤساء اركانها ما عدا القائد الاردني فانه لا يحضر بنفسه بسبب كونه بريطانيا وينتدب مساعده أو ضابطا اردنيا اخر للحضور بدلا منه .

هذا الوضع العجيب او هذه « الصيغة » طالما جرت الى الحلقة المفرغة التالية :

حكومة الاردن تقول للحكومات العربية : «حدودي مهددة ، واقتصادي سيء ، اريد منك قروضا اقوي فيها دفاعي وانعش اقتصادي» .

فتجيبهم هذه بلسان الحال ولسان المقال : «مهمة الدفاع عنك منوطة ببريطانيا ، وما نبذله فى هذا الشأن هو تخفيف للعبء عن الانكليز ، تحرري اذن من هذا الوضع واطلبي قروضا » .

فتجيبهم : اعطوني لاكون اقوى على التحرر .

واذكر ان جدلا قام بيني وبين احد اركان الفكرة القومية فى العراق، وكان يناهض مشروع اقراض الاردن ويجادل فى ضرورة تلبية مطالب وفد اقتصادي رسمي اوفدته حكومة الاردن الى بغداد ، وكان مما قاله : افهم ان يطالبوا بالقروض للتحرر مما هم فيه ، اما وهم لا يفكرون مطلقا فى تبديل وضعهم السياسي ووضع جيوشهم فكل ما يبذل انما هو توطيد للوضع القائم وكأنهم يطالبوننا بان ندفع اعانة لبريطانيا لا للاردن !

وطبيعي ان اجادله فى هذا وان اشير الى ان تقوية الاردن اقتصاديا تجعله اقدر على الثبات امام اليهود ، ومما قلت له وهو فى صميم موضوعنا اليوم : ان الاردن فى وضع اقتصادي قد نمدحه حين نقتصر فى وصفه على « سيء جدا » ، وكل اردني يتمكن من الهجرة الي الكويت او العراق او الحجاز ليجد فيها مرتزقا فانه لا يتردد ، وما تقول فى شعب ثلث سكانه من اللاجئين الذين يعيشون على ما توزعه عليهم وكالة الغوث من فتات موائد الامم ومما لا يكاد يكفي لاقامة اودهم ، واما السكان الاصليون للشلو الفلسطيني الباقي بيد العرب فقد اضاعوا موارد رزقهم وفقدوا اراضيهم التي تقع في المنطقة المحتلة.

وضربت مثلا صناعة الصابون النابلسي ، فقد كانت مصر هي السوق الرئيسية لصابون نابلس ، وافقدتنا الكارثة هذه السوق باحتلال النقب وقطع الطريق بين مصر وفلسطين حتى غدت تكاليف شحن الصابون من نابلس الى عمان فدمشق فبيروت فمصر بحرا من الفداحة بحيث تجعل سعر الصابون مرتفعا ارتفاعا يستحيل معه بيعه فى مصر ، فالقروض من الاقطار العربية ان لم تكن لغايات دفاعية فلتكن لغايات اقتصادية اي لتحقيق بعض المشاريع الانشائية التي ترفع مستوى البلد الاقتصادي الى حد ما !

ويجيبني الصديق : **اذا كان الامر كما تصف وتقول فلماذا يحجم الاردن عن الدخول فى مباحثات للاتحاد الاقتصادي ؟ بل لماذا يحجم عن الدخول فى مباحثات للاتحاد السياسي والاتحاد هو وحده الذي يعالج الوضع معالجة اساسية ؟ لماذا التهرب من تناول العلاج الذي هو اكثر تأمينا للشفاء واسرع فعلا فى الخلاص من هذه القروض ؟**

وهنا اتفق وصديقي .

وبعد فليست صعوبة الوضع الاردني ناجمة عن سوء وضعه الاقتصادي فقط ، ولا هي ناجمة عن وضعه العسكري المستمد من علاقاته التي تنظمها ببريطانيا معاهدة ١٩٤٨ فقط ، ولا من راهن هذه

العلاقات التي تجاوزت حدود المعاهدة ومقتضياتهاوشروطها بمراحل بعيدة ، بل ان الصعوبة كل الصعوبة في ذلك العبء الدفاعي الذي القته الكارثة الفلسطينية على عاتق الاردن، ذلك العبء الذي يتضخم بسبب خطوط الهدنة تضخما هو ابعد مما يتصوره عربي وافدح مما يخطر ببال انسان .

ان الاردن هو خط الدفاع الاول عن الامة العربية كلها ، ولكن ليس يكفينا ان نقول ان القطر الاردني هو خط النار وانه هو ذاته جبهة القتال !

خطوط الهدنة

ما نحتاج الى الايضاح بان الاشلاء الباقية من فلسطين ، هي ما تسمى اليوم « بالضفة الغربية » للاردن ، وما نحتاج الى التأكيد بان استعمالنا « للاردن » لا يعني ان « فلسطين » يمكن ان يمحى من الافواه اسمها ، وان يعفو فى الضمائر رسمها ، وانما نحن نبحث فى الامر على ضوء الوضع الجغرافى الجديد الذي نجم عن الكارثة بعد انضمام هاتيك الاشلاء الى شرق الاردن .

قلت ليس يكفينا ان نردد:«الاردن خط الدفاع الاول عن الامة العربية» كما كنا نردد : « فلسطين هي خط النار » فلا بد لنا من الحديث عن واقع خطوط الهدنة دون ان نبحث فى الكيفية التي تم بها تخطيط الحدود الرودوسية ، وكيف رسمت خرائطها المتعددة المتباينة،وكيف اقرها الجانب العربي ، وكيف ادت الى تسليم اليهود من دون حرب ودون قتال منطقة واسعة يسكنها كلها عرب ، وتحتلها كلها قوات عربية ، وهي من اخصب بقاع الدنيا ، وناهيك بشارون وسهولا ممرعة فياضة بالخير والبركات ، وما نتحدث عما تخلل ذلك من عبقرية فى الجهل ونبوغ فى الغفلة وجراة على التسليم .

وقد كان المفروض في تلك الهدنات ان يقف كل فريق حيث هو ، الا ان الهدنة الاردنية الاسرائيلية ، ادت الى الانسحاب من المثلث العربي، وحسبنا الان ان نعرف هذه الحدود وان نصفها حتى نصل الى حقيقتين نؤمن بهما ، وندعو الى الايمان بهما :

اولاهما : ان استتباب الامن والسلام على طول الحدود مستحيل كل الاستحالة ، متعذر كل التعذر حتى اذا ارتضت حكومتا الاردن واسرائيل عن هذا التخطيط للهدنة ، وحتى اذا تعهدنا برعايته اصدق التعهد. انه مستحيل حتى اذا جاءت قوة دولية ضخمة تراقب هذه الحدود مراقبة شديدة .

وثانية الحقيقتين: ان الاردن وحده وفى وضعه هذا ، لا يستطيع فى حال ان يحمي حدودا كهذه الحدود. وخطوطا مثل هذه الخطوط وان وقوف الامة العربية موقف ((المتفرج)) على ما يجري فى الاردن هو فى ذاته اسهام منها غير مباشر مع اليهود فى تدمير الوجود العربي فى هذه المنطقة تدميرا يمتد اثره الى وجود الامة العربية كلها ، وان شئت فقل انه انتحار سلبي للقومية العربية !

يبلغ طول خطوط الهدنة نحو ستمئة كيلومتر ، تمتد من خليج العقبة حتى بحيرة طبريا . واذا اردت التفصيل فدونك ما ورد فى تحديد رسمي لها : انها تبدأ فى اقصى الشمال من نقطة بين الحمة ونهر اليرموك ، ثم تنحدر جنوبا وتمر بمحاذاة جنين،طولكرم ، قلقيلية ، قبية ، بدرس عمواس ، قطنة ، القدس ، بيت جالا،

الترقومية ، الظاهرية وست وسبعين قرية اخرى ثم تدخل البحر الميت شرقا لتصعد الى الشمال ثم تنحدر جنوبا فتصل بالبر الاردني عند غور الصافي ، ومن هنا تتجه نحو الجنوب على طول وادي عرم ، حتى تصل الى ام رشرش فى راس ميناء العقبة ، حيث يتألف من الاراضي المحتلة هناك مثلث راسه فى شاطىء خليج العقبة ، وقاعدته فى شمالي وادي عربة على حدود منطقة بئر السبع .

وهذا المثلث هو الاسفين الذي يفصل بين مصر والاردن او بين افريقيا العربية واسيا العربية ، وهو ذاته باب خطير او مفتاح لجزيرة العرب

عجائب الحدود !

واني فى الحديث عن عجائب هذه الخطوط وغرائبها ومدهشاتها ومستفزاتها استند الى زيارات قمت بها شخصيا للحدود ، والى اتصالات بالمرابطين فيها والخائضين لظى جحيمها ، والى بيانات استقيتها من الرئيس السابق للجانب العربي للجنة الهدنة فى الاردن السيد عزمي النشاشيبي ، ومن بحث للمستر ليتل مدير وكالة الانباء العربية .

يقع كل يوم حادث اصطدام بين اليهود والعرب ، وتنعقد لجنة الهدنة المشتركة للنظر فى ذلك الحادث ، واللجنة المذكورة مؤلفة من عرب ويهود ومندوبين يمثلون هيئة الامم المتحدة ويطرح موضوع الشكوى للبحث فيقف العرب فى جانب، ويقف اليهود فى الجانب الاخر ، وحينئذ يكون القول الفصل فى النزاع لمندوبي هيئة الامم ، والنتيجة تكون فى الجانب الذي ينحازون اليه .

ويضاف القرار الى القرارات السابقة ثم يرفع الى هيئة الامم ليوضع معززا مكرما فى اضباراتها ، وتنظر اللجنة فى اليوم التالي فى الشكوى التالية لترفعها الى هيئة الامم حتى يصح القول ان مهمة المراقبين هي التبليغ ، وما على الرسول الا البلاغ :

وهذا النزاع سيظل قائما مستمرا حتى يجلو العرب عن بقية ديارهم وينكمشوا فى صحراهم او الى ان تتطهر الارض العربية المحتلة من غاصبيها !

***

هلم نتحدث عن القدس !

ان خط الهدنة قد شطرها شطرين من الشمال الى الجنوب ، وقد احتوى الشطر الذي تحتله اسرائيل جميع الاحياء العربية الحديثة التي بناها العرب على طراز رفيع ، واما الشطر العربي فيتألف من القدس القديمة وهي جزء ضئيل من المدينة ومن حي اخر هو الشيخ جراح

وتحيط بالقدس منطقة جعلت منطقة حرام ، ومع انها محرمة على الفريقين فقد احتل اليهود اكثر مساكنها ، واستولوا على ممتلكات العرب فيها ، وانف هيئة الرقابة الدولية فى الرغام .

ويشاهد العرب من سكان القدس باعينهم ، وعلى امتار قليلة منهم هؤلاء اليهود يحتلون بيوتهم ويسرحون ويمرحون فى اراضيهم !

ونأتي الى منطقة جبل سكوبس، وهي تتألف مع جبل الزيتون من مرتفعات تسيطر على مشارف القدس العربية من الشرق والشمال وتسيطر على قرى عربية عديدة ، ولكن ، مع الاسف الشديد والالم البالغ وقع العرب واليهود فى ٧ تموز سنة ١٩٤٨ اتفاقا سمح فيه لليهود باحتلال الجامعة العبرية ومستشفى هداسا ،

ثم افرزت حولهما منطقة عزلاء لحمايتهما تتولى الامم المتحدة الاشراف عليها ،

وقد استغل اليهود القافلة التي تذهب الى ابنيتهما تحمل الزاد والمؤن مرتين فى الشهر ، فى تهريب الاسلحة والمدمرات اليهما ، بحيث غدت الان مليئة بمدافع الهاون والقنابل والبطاريات .

وفى سنة واحدة قدر عدد اعتداءات الحرس اليهودي على العرب فى المنطقة العزلاء بنحو خمسين حادثة ، قتل فيها كثيرون من العرب . ولا يزال اليهود ماضين فى اقامة الاستحكامات وبناء التحصينات وليس من وازع ولا رادع !

وقد كان فى مكنة العرب ان يمنعوا اليهود من الاستيلاء على هداسا وعلى الجامعة ، وان يمتنعوا عن توقيع ذلك الاتفاق ، لولا عقلية عربية ارادت ان تبرهن للعالم على ان العرب يحترمون اماكن العلم والمستشفيات، ويرعونها وان كانت لاعدائهم ، وانهم لا يريدون ان تتكرر تلك الفرية الظالمة التي بثها مغرضون كاذبون عن الحرق المزعوم لمكتبة الاسكندرية

ان هذه العقلية لا يمكن ان تنقذ وطنا مهددا بالاجتياح من قبل عدو ضرب الرقم القياسي فى اللؤم والوحشية !

كانت بيت لحم ، مدينة المهد المقدسة ، جزءا من القدس، ولاتتجاوز مسافة الطريق بينهما تسعة كيلومترات ، ولكن خطوط الهدنة الميمونة جعلت هذه الطريق فى صميم المنطقة المحرمة ، واضطرت الحكومة الاردنية الى انشاء طريق اخرى تتعرج وتتلوى حول روابي الشقة المحرمة جنوبا حتى تصل الى بيت لحم وقد بلغ طولها ٢٥ كيلومترا .

وانت اذا تتبعت خطوط الهدنة فى اية جهة اردت ، تجدها تخترق بعض القرى العربية ، وتجدها تفصل بين معظم القرى وبين اراضيها التابعة لها والتي تعيش من منتوجها ، وتجدها قد ادخلت فى اسرائيل مناطق من الاراضي العربية تكون وقاية للقرى اليهودية من الناحية الاستراتيجية .

دع القدس ، وسر جنوبا حتى تبلغ بيت صفافا ، فيروعك ان ترى ان خط الهدنة قد ادخل السكة الحديدية الممتدة للقدس فى اسرائيل، ويدهشك ان تعلم ان خط الهدنة هذا قد شطر قرية بيت صفافا شطرين . ولماذا ؟

لقد روعي فى ذلك تأمين وجود منطقة واقية للخط الحديدي تبلغ مساحتها مائتي متر ، وذلك بتمزيق القرية وتقسيمها . ولعلك تضحك فى مرارة حين تعلم ان مستشفى بيت صفافا قد انشطر شطرين ، فغرف النوم والعمليات والطعام تقع فى الجانب اليهودي وغرف الاموات وبعض المرافق تقع فى الجانب العربي ، ولك ان تعجب لسخرية الاقدار التي جعلت نصف سكان القرية ــ وهم عرب ــ يحملون بطاقات اسرائيلية بينما يحمل النصف الاخر بطاقات اردنية لانهم مواطنون اردنيون!

وبعد ما تستوفي حظك من العجب والدهشة تنتقل من بيت صفافا الى قرية « بتير » فترى ان حماية الخط الحديدي قد قضت على خطوط الهدنة بان تمتد داخل القرية مئتي متر ، متناولة بيوتها بالتوزيع والتقسيم ، فمدرسة القرية وقسم كبير من مساكنها وحدائقها تقع فى اسرائيل ، وقسم اخر يقع فى الجانب العربي، واطفال القسم العربي يذهبون كل صباح الى المدرسة الواقعة فى القسم الاسرائيلي ثم يعودون بعد

الظهر الى القسم العربي ، ويمن عليهم اليهود بانهم سمحوا بذلك ، ويضربون هذا امام لجنة الهدنة مثلا لكرمهم . اما اراضي هذه القرية العربية الكبيرة فتقع كلها فى اسرائيل .

ولا تنس حين تغادر القرية ان تستبقي فى نفسك ذخيرة من الضحك او السخرية او من المرارة لاستهلاكها فى قرية بيت ميسم ، حيث ترى ان خط الهدنة قد شطرها وبيوتها شطرين ، وقد اخترق دار المختار فجعل غرفة الاستقبال فى اسرائيل وغرفة النوم فى الاردن ، وراح المختار المسكين يساوم اسرائيل ، ثم يتنزل لها عن اخر قطعة من اراضيه التي يملكها لكي تزيح خط الهدنة عن نصف منزله فيغدو كله فى المنطقة العربية !

وتنزل جنوبا ميمما قرية البرج ، فترى ان خط الهدنة النبيلة قد فصل القرية عن بئرها التي تشرب منها ، والبئر هذه تبعد عن بيوت القرية خمسين مترا ، وهل تعيش القرية من دون ماء ؟.

وقد تسلل بعض نساء القرية يحملن جرارهن وفيما كن يملأنها اطلق اليهود النار عليهن وقتلوهن !

وخرج خمسة من رعاة القرية يسوقون انعامهم وهم : شيخ تجاوز الستين ، وثلاثة اخوة ، وصبي صغير . وما كادوا يقتربون من البئر ليرتووا وانعامهم من مائها حتى انهمر عليهم الرصاص اليهودي فقتلهم ، وغنم اليهود انعامهم . واما القرية فقد فتحت بئرها القديمة المردومة ليرشف سكانها من مائها الذي لايصلح للشرب .ما يقيهم الموت عطشا !

وقد تزور الخليل ، وتتساءل عن مصير هاتيك الروابي التي تحيط بها وعن تلك السهول المترامية الى الفالوجة والمجدل ، وعن ذلك السهل الساحلي الشاسع فتعلم انها كلها قد منحت لليهود ، وان خط الحدود قد امتد الى التلال لحماية السهول وان جميع تلك القرى القائمة على تلك الخطوط قد فقدت اراضيها !

وما احدثك عن قرى المثلث وعن اراضيها الضائعة فى جنين وطولكرم وعن الخرائط التي يبرزها اليهود بين آونة واخرى ليضموا جديدا من الاراضي العربية للمنطقة التي اغتصبوها !

وما احدثك كيف تجاهل اليهود حتى شروط الهدنة المخزية فى كل ما يتعلق بسكان القرى العرب وباراضيهم ولكنني اكتفي بان اشير الى قرية من قرى الحدود نموذجا لغيرها .

انها قلقيلية التي لم يبق من الخمسة والعشرين الف فدان التي يملكها اهلوها سوى مئة وخمسين فدانا لا غير ، وهم لو مدوا ايديهم من شوارع القرية او من نوافذها لاتصلت ببساتينهم التي زرعوها بالبرتقال وجعلت فى تخطيط الهدنة من نصيب اليهود ، وحيل بينهم وبين مايشتهون من ثمراتها ، وهم اذا توفر لاحدهم من الدراهم ما يستطيع ان يشتري بها برتقالا ، فانه يشتري من البرتقال الذي يرد من لبنان ، نعم من لبنان الى قلقيلية وبستانه على بعد امتار قليلة منه تقطف ثماره لتشحن الى اوروبا وهو يردد : فيا عطشي والماء يجري !

اضف الى هذا ان سكان القرية يعيشون فى مواقع مكشوفة ، ويرون باعينهم الحصون اليهودية تقام ، ولولا ايمانهم وشجاعة افئدتهم لولوا الادبار !

اما مدينة طولكرم ، فالخط

الحديدي الذي يخترقها آتيا من حيفا الى اللد قد جعل حدا فاصلا بين العرب واليهود ، واذا زرت مدرسة « خضوري » الزراعية العربية في المدينة ، رأيتها في الجانب العربي ورأيت مزرعتها في الجانب اليهودي.

وخلاصة القول ان خطوط الهدنة جعلت جميع مرافق البلاد ومرافئها وخطوطها الحديدية وامرع اراضيها بيد اليهود ، واذا كان اليهود قد تخلوا عن بعض القرى مكتفين باراضيها دون مبانيها، فلانهم يتخلصون بهذا من سكانها، ومتاعبهم ،ومقتضيات تموينهم واعاشتهم وتوطيد الامن بينهم وهم طالما اجلوا بعض القرى الواقعة في سلطانهم من سكانها وحملوهم على الرحيل الى المنطقة العربية ليتخلصوا منهم بعد ما حرموهم جميع اراضيهم وموارد رزقهم .

والعربي الجائع حين يتسلل كي يقطف ثمرة من بستانه الذي يتحرق عليه او كي « يسرق » حفنات من محصول ارضه التي زرعها، او حبات زيتون من اشجاره التي غرسها او ورثها ، يستهدف للموت من رصاص العدو الغاصب او للعقوبة الصارمة اذا وقع بيد السلطات الاردنية . واما اليهودي الذي يجتاح قلامية او قبية او نحالين ليعتدي على العرب فيلقى من اسرائيل التشجيع والاغراء والحماية ...

هذا بعض الوصف للحال على الحدود ، وما لم اذكره واتحدث فيه حافل بالدلائل على خطورة الوضع وبالايات على ان استتباب الامن بين العرب واليهود على الحدود غاية لا يمكن ان تدرك .

واذا نحن رضينا ـ معاذ الله ـ عن واقعنا ، فما يقنع اليهود بما هم بالغوه ، والاصطدامات لن تنقطع والغلبة في النهاية للقوي ، المؤمن المنظم ، المستعد !

الاتحاد الاتحاد

وبعد فبلد هذا وضعه ، وهذه حدوده ، وهذا اقتصاده ، وهذه قوته ، وهذه موازنته ، هل يستطيع ان يقف وحده في الميدان؟ وهل يقوى وحده على رد العدوان؟

انه مضلل ، خداع ، غدار ، آثم في حق عروبته من يزعم ان الاردن وحده يستطيع ان يثبت في وجه الاعاصير وان يدفع وحده عن العرب ذاك الشر المستطير !

اجل ماذا تستطيع دولة الاردن ان تفعل وحدها ؟ وحدها لا تستطيع شيئا فاما ان تظل معتمدة على بريطانيا واما ان تحتضن الدول العربية امرها واما ان تحتلها اسرائيل وما تثبيت الوضع الاردني على حاله ـ بارادة بعض العرب ـ الا جريمة غايتها تقديم الاردن هدية رخيصة لاسرائيل او استبقاؤها رهن ارادة الانكليز .

ان شهداء قبية ليسوا ضحايا اسرائيل ، انهم ضحايا الحكام العرب الذين عارضوا الاتحاد ويعارضون الاتحاد بين الاردن ودولة عربية اخرى

لقد كانت فرصة قومية سانحة حين اعلن فاضل الجمالي استعداد العراق للدخول مع اية حكومة عربية في مباحثات ترمي الى اتحاد عسكري واقتصادي وسياسي مع العراق ، ولكن بدلا من اهتبال هذه الفرصة والمبادرة بالمفاوضات لانقاذ هذا القطر المهدد شحنت بعض صحفنا بالحملة على دعوة الجمالي والتنديد بها ، ووصمها بكونها دعوة استعمارية مشبوهة ، بل وجد في هذه الامة التاعسة من يصم كل داعية للاتحاد

بكونه عميلا للاستعمار !

وانه لخير في نظر هؤلاء الشعوبيين والمأجورين ان يبقى الاردن على حاله الذي اسلفنا وصفه، او ان يحتله اليهود من ان يتحد مع قطر عربي .

ترى ما جزاء من يحول دون اتحاد الاردن مع قطر عربي ؟ وما جزاء الذين اصطنعوا منذ خمس سنوات هذا الضمان الجماعي دون ان يجعلوا منه حتى الساعة اداة قادرة على دفع عدوان واحد ورد لطمة واحدة ؟

وما جزاء الذين اذا قلت لهم « اتحاد » قالوا لك « ضمان جماعي »؟

ما جزاء من ينفقون المال لا في التقوية والاستعداد ، ولكن للحيلولة دون الاتحاد ؟

بل ما جزاء امة ترى سبيل الخلاص امامها فتعرض عنه الى المزالق التي تودي بوجودها ؟

نصحتهم نصحي بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

اكرم زعيتر

مسؤولية العراق عن دعوته

قبل ان اتحدث عن بيان الجمالي وعن مدى التوفيق الذي اصاب الفكرة الاتحادية في مصر ، حين عرضه على مجلس الجامعة ثم تلاه فيه، ارى ان اقول ما يلي :

ان اية دعوة للاتحاد بين قطرين عربيين ، مهما يكن مصدرها ، ومهما تكن اسبابها ودواعيها ، ومهما يتضح خيرها بل عنصر الضرورة القوميه القصوى التي تحتم استجابتها ، فانها تباده خصومة لداء ، وتواجه معارضة عنيفة من فريقين من الناس : احدهما يظن ان مصلحته الخاصة ـ ولو كانت موقوتة ـ رهينة ببقاء كيانه الهزيل التافه ، يضمن فيه سيطرته الشخصية متجاهلا ان هناك شيئا اسمه « اسرائيل » يهدد بازالة لا كيانه الخاص فقط بل ينذر الامة العربية بالانقراض ، او قد يظن ان اتحادا لا يكون تحت تاجه هو او بزعامة اسرته انما ينذر عرشه واسرته بالزوال ، ولذلك فانه واتباعه وألسنته ومرتزقته يبادرون تلزلفى اليه عن طريق مناوأة الدعوة الاتحادية .

اما الفريق الثاني فقد يظن ان الوطنية كل الوطنية هي الصاق الشبهات بكل دعوة اتحادية ، وليس اهون عليه وايسر لديه من ان يصيح: هذا مشروع استعماري ، فاحذروه ! هذه دعوة انكليزية ، او هي اميركية فاجتنبوها !

وباسم الوطنية ينعق في محاربة الدعوة ، وقد يلجأ عن خبث وسوء نية الى هذه الاسطوانة : نريد توحيد الشعوب ولا نريد توحيد الدول ، كأن الدولة شخص معنوي لا ينطوي فيه الشعب !

وقد يتحدث في غير حياء عن الخطر الذي يصيب التوازن بين الدول العربية ، كأنها دول اجنبية وكأن هذا التوازن هو سر البقاء ، وهو الحرية وهو القوة وهو الحياة المستقلة الكريمة !

واني لاذكر ان خصما للاتحاد بين قطرين كان يتذرع في مناواته بحجج قد يسيغها المنطق السطحي الضحل ، ولكنه كان يتحدى الدنيا بقوله : ولماذا لا يتحد العراق والاردن اولا ؟

فلما نشطت الدعوة الى هذا الاتحاد ، كان جنابه اول من نادى بالويل والثبور ، حتى لكأنه يخشى على استقلال الاردن التام الناجز من عدوان العراق ، مطمئنا الى نبل اسرائيل !

وهو لا يريد ان يقنع معك

ظهر في « الحياة » ، العدد ٢٢٨٢ الصادر في ٩ شباط ١٩٥٤

ان الاتحاد بقطر عربي هو خير من الغزو الاسرائيلي ، وما دام الغزو الاسرائيلي لما يقع فلا ضرورة للوقاية منه ! واذا وقع وكانت الطامةالكبرى فهو مطمئن الى ان هذه الامة ستنسى آثامه وانها لن تحاسبه على مواقفه وكفاه ان يصطنع الوجيعة على وطنه السليب علاجا للهوان الذي يصيبه هو ويسم امته بميسم الخزي .

وقاتل الله شهوة التظاهر بالوطنية المتطرفة ما دامت لا تكلف مدعيها بذل فلس واحد فى سبيل الوطن، وما دامت لا تقوم الا على السباب وطعن الاخرين فى وطنيتهم !

وما احب ان اغفل هنا عن الاشارة الى فريق ثالث يجهل القضايا العربية ولا يعرف منها الا بعض القشور .

ويؤسفني ان اقول ان كثرة هذا الفريق من اخواننا المصريين الذين نعرف عن قضاياهم ورجالهم وحركاتهم مثل ما يعرفون ، وسنظل نكابد من عدم معرفتهم حقيقة الاحوال فى البلاد العربية الشيء الكثير ، هذا مع تسليمنا بان التربة المصرية الكريمة خصبة جدا لبذور الحقيقة، وانه لواجب محتوم على حملة الفكرة العربية ان يحكموا صلتهم باخوانهم المصريين ، ولعل من اهم السبل لايقافهم على الحقائق ان يكون التمثيل السياسي العربي فى مصر من اشخاص يختارون من ذوي الكفايات الممتازة والعقائد القومية والهمم العالية ، واللباقة والطلاقة ، والبعد عن الشح والصلف والكزازة. وهنا اعترف بان التوفيق قد حالف العراق والاردن ولبنان فى اختيارهم ممثليهم السياسيين (١)

ولاعد الى دعوة الجمالي فى مصر واني اوثر ان اسميها « دعوة » لانها ليست مشروعا تطلب فيه حكومة العراق من الجامعة العربية ان تقرره ليحل محلها .

انه نداء من العراق للدول العربية جاء على صيغة مذكرة مقدمة للجامعة العربية ، وهذه المذكرة تقول :

« ربما كانت الدول العربية لا تستطيع الان مجتمعة وبسرعة واحدة ان تسير فى طريق الاتحاد لعوامل جغرافية وداخلية موقوتة ، تخص كل قطر من الاقطار العربية ، وعليه فالعراق يدعو الدول ذات الممكنات الراهنة للشروع فى تحقيق الاتحاد ريثما تستطيع الاخرى ان تنضم اليه، وهذا الاتحاد يستهدف وحدة السياسة الخارجية والدفاع والاقتصاد، والعراق مستعد للدخول فى الاتحاد مع اي قطر عربي ، وتظل الجامعة العربية قائمة حتى ينتمي جميع الدول للاتحاد المنشود .»

تلي بيان الجمالي فى مجلس الجامعة وكان جو مصر مشبعا بالروح العربية وتصاريح القادة والكتاب فى تمجيد الاتحاد تترى .

ولو صدرت مثل هذه الدعوة من عراقي مسؤول قبل سنين لهبت الصحف المصرية تندد بها وتحمل عليها ، ولرأينا التهم تلقى جزافا وترسل سيولا منهمرة .

بيد انه لم يكن بد لبعض الممثلين فى الجامعة من انتقاص الدعوة او التهوين من شأنها ، او معارضتها فلاذ فريق منهم بالمنطق القائل : المادة التاسعة من ميثاق الجامعة تتيح لكل دولة عربية ان تعقد

---

(١) يمثل العراق السيد نجيب الراوي ويمثل الاردن السيد عوني عبد الهادي ويمثل لبنان السيد نديم دمشقية

اتفاقات مع الاخرى فما هي جدوى هذا المشروع ؟ اذن فليسحب !

وطبيعي ان يقال لهم : ان هذه حجة عليكم ، فاذا كان في ميثاق الجامعة ما يتفق وهذا المشروع فتفضلوا بتأييده،اننا لا نريد انتقرروا في هذه الجلسة قيام الدولةالاتحادية الكبرى التي تضم الدول العربية كلها ، ولكن الذي نرجو ان تقرروه هو ان الدعوة للاتحاد بين دولتين عربيتين امر تسيغه المصلحة القومية ولا تستنكره الجامعة العربية !

ولاذ فريق اخر من المعارضين بقولهم : اننا طلاب وحدة شاملة، لا اتحاد ضيق ، وفي هذا المشروع انتقاص لاماننا !

وطبيعي ان يقال لهم ان المخلص لفكرة الوحدة لا يجوز له ان يتنكر للاتحاد ، واذا كنت لا تستطيع ان تقيم اتحادا بين جميع الدول فهل يعني ذلك ان تظل الدول العربية دويلات صغيرة تافهة ؟

واذا كنت لا تستطيع ان تجعل من الدول الثماني دولة اتحادية واحدة فلا اقل من اختصارها الى اربع .

ثم اتفق على صيغة تقرر فيها شكر العراق للحوافز التي دفعتهالى تقديم مشروعه ، وتقرر فيها انيحال المشروع الى الحكومات كي تدرسهكل حكومة ...

وانا اعلم علم اليقين انه ما من حكومة ستكلف خاطرها بدراسته او الاهتمام به ، ولكنني اعتقد ان الفكرة الاتحادية قد ربحت هذه الجولة ، وسأتحدث عن رصيدها من الارباح .

واذا كنا نظن ان الجامعة في دورة من دوراتها ستقرر الاتحاد ، وان الدولة الاتحادية ستقوم بين يوم وليلة ، وان المفاوضات والمقترحات والمشاريع والمناقشات تنتهي في مجلس الجامعة الى قيام الدولة المنشودة ، فاننا نكون مجانين،ونكون متجاهلين لحقائق التاريخ وللدروس التي تلقيناها عن الطرق التي ادت لتحقيق الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية واتحاد الولايات الاميركية او الاتحاد السوفياتي .

جولة اولى

١ ــ كان مفهوما لدى بعض الحكومات العربية وبعض ساسة العرب ان الجامعة العربية هي اقصى ما يمكن للعرب ان يصنعوه في مضمار التلاقي ، وان مهمتها تأييد الحدود والمحافظة على الكيانات . اما الان **فقد اصبح مفهوما وواضحا ان الجامعة في وضعها الراهن هي خطوة نحو الابعد ، وان مهمتها ليست تحنيط الكيانات وتخليد الدويلات وانما هي بداية لا نهاية ويجب ان يزول من اذهان البسطاء ما يزعمه المغرضون من ان الدعوة الى الاتحاد هي ذاتها دعوة الى حل الجامعة العربية .**

٢ ــ كان الاصل حين تنطلق ألسنة اعداء الاتحاد في الحملة عليه ان يقال : انه مشروع استعماري انكليزي . ولكن هذه الالسنة قد اخرسها هذا الجو الملائم الذي خلقه البيان العراقي . **لقد كان الضوء الاحمر معدا في مختلف الساحات ليحول حتى دون مجرد البحث في الاتحاد ولكن الفكرة الاتحادية قد استطاعت الان ان تستاصل ذلك النور الاحمر وان تحل محله نورا اخضر** ، ولا عبرة بتلك العناوين والانباء والتعليقات التي شحنت بها جريدة « الجمهورية » اخيرا، فانا اعلم ان صلاح سالم المسؤول

الاول عن التوجيه كان غائبا في السودان واعتقد ان جمال عبدالناصر لا يرضى في حال ان يناقض نفسه، وان محمد نجيب ليس بذلك الذي يتراجع عن فكرته في الاتحاد ، واعتقد كذلك ان لهما من الحصافة ومعرفة الحقائق ما يفرقان معه بين عطفهم على عهد او حاكم ما كالشيشكلي وبين الفكرة الاتحادية التي يجب ان تظل في دائرة القدسية وفي معزل عن كل هوى وميل

٣ ـ كنا نرجو منذ زمن طويل ان نجد بين الحكومات العربية كلها حكومة واحدة تبرز الى الميدان، وتعلن جهرة وعلانية وبصراحة انها تتبنى فكرة الاتحاد ، وانها ستعمل لها وتلزم نفسها بالثبات على السياسة الاتحادية الجاهزة ، وتتحدى بدورها الدخول معها في مباحثات لتحقيق الاتحاد .

وها نحن اولاء قد وجدنا هذه الحكومة المنشودة : انها حكومة العراق . واصبح من حق الشعوب العربية ان تطالبها برعاية مبدئها واحترام كلمتها والدأب على تحقيق هدفها ، بل اصبح من واجب الشعب العراقي والشعوب العربية ان تحاسبها حسابا عسيرا اذا هي قصرت وتوانت في الولاء لسياستها .

٤ ـ في اعلان الحكومة العراقية على لسان الجمالي انها مستعدة للاتحاد مع اي قطر عربي ورقة ثمينة جدا بيد الشعوب العربية التي ترى ان خلاصها في الاتحاد، وحجة قاطعة تطالب بها حكوماتها ، بالمبادرة الى الاتفاق مع العراق .

ان بيان الجمالي ذاته تحريض صريح لكل اردني مثلا ، وهو يرى وطنه في خطر ، على المطالبة باتحاد وطنه مع العراق ، قائلا : هو ذا العراق يمد يده الينا فلم لا نمد يدنا اليه ؟

وبذلك يقطع الطريق على اولئك الذين لا يرون سبيلا لصيانة وطنهم المهدد بالاجتياح الا بالاستنجاد بالانكليز واستجداء حمايتهم والتعلق باذيالهم والترحيب بقواتهم والرضاء عن احتلالهم ولا يتورعون في الحين ذاته عن مهاجمة الدعوة الى الاتحاد انكليزية .

لو كانت انكليزية !

وقد شهد الله وملائكته وكل ذي مسكة من العقل، انه لو كانت الدعوة في حقيقتها انكليزية لكانوا هم اول من يقدس لها ويسبح بحمدها، ولكن هؤلاء يصح فيهم قول الشاعر :

يا لقوم عضت مناهم على النير
فما يعرفون غير النير !

انني لا اعرف من يخدم الانكليز اكثر ممن يقول ان اتحاد قطرين عربيين هو مؤامرة انكليزية لانه لو صح ان الانكليز يريدون اتحادنا، لوجب علينا ان نشكر لهم هذه الارادة ولوجب علينا ان نرحب اصدق الترحيب بكل ما يبذلونه من جهد في اتحادنا .

واني انا الذي بلوت شخصيا من الاستعمار البريطاني ما بلوت ، وقد هدر الظلم السكسوني عمري وسلبني وطني وكرامتي الانسانية أعلن اليوم انني سأحمد للانكليز من صميم قلبي الا يعرقلوا سير الاتحاد العربي ، وان يقفوا منه موقف المحايد لا المناوىء.

حقا لقد «باخت» تلك النغمة السمجة التي ترددها افواه الجناة على وطنهم من اعداء القومية العربية والتي تزعم في صفاقة والحاح ان كل مشروع اتحادي هو مشروع بريطاني وهي قبل غيرها تدرك انه لولا الانكليز انفسهم لتحقق الاتحاد .

اكرم زعيتر

كلمات صريحة بعد ٣٤ سنة

فى السابع من اذار سنة ١٩٢٠ ، اي منذ اربع وثلاثين سنة ، عقد فى دمشق اجتماعان عربيان خطيران اولهما اجتماع المؤتمر السوري الذي يمثل بلاد الشام شمالا وجنوبا وغربا ، ساحلا وجبلا ، وثانيهما اجتماع المؤتمر العراقي الذي يمثل بلاد الرافدين .

وكانت سورية الداخلية تنعم عمليا بحكم استقلالي ، وتعد نظريا من « بلاد العدو المحتلة » . وكانت تحس بالمرارة الشديدة لان جنوبها (فلسطين) لا يزال محتلا بالقوات الانكليزية وهدفا للغزو الصهيوني ، ولان السواحل الغربية لا تزال تحتلها القوات الفرنسية .

وتتطلع سورية الداخلية هذه نحو الشرق العربي ، اي نحو العراق ، فترى ان الانكليز يحتلونه ويعتبرونه مستعمرة من مستعمراتهم ، فتقرر يومئذ ان عليها واجبا قوميا نحو الجنوب والشرق والساحل .

وكانت المطامع الاستعمارية الصهيونية والفرنسية تكشر عن انيابها لتعمل بها تمزيقا فى البلاد العربية . وما كانت الشام الداخلية لتتوانى فى تغذية الحركات النضالية فى هاتيك البقاع العربية التي ابتليت بالاستعمارين الفرنسي واخيه البريطاني ، ففي جبال العلويين ثورة وفى تلكلخ ثورة ، وفى جبل عامل نضال ، وفى فلسطين هبة وطنية ، وفى بلاد الرافدين هياج وتحفز للصراع الدامي والثورة اللاهبة .

وبينا المؤامرات الدوليه تحاك لتمزيق بلاد العرب ، والمفاوضات تجري بين الغاصبين لتوزيع الوطن العربي الاسيوي اسلابا وغنائم بينهم، وبينا اخذت انياب اتفاقية «سايكس ـ بيكو» تنهش الجسم العربي وتعمل فيه تمزيعا وتوزيعا ، رأى المؤتمر السوري، الذي يمثل بلاد الشام كلها ان يجبه العالم بالامر الواقع فيعلن استقلال سورية المتحدة ، من دون ان ينتظر قرار مؤتمر الصلح الذي سيمليه الاقوياء الظافرون الطامعون ، ورأى ان يعلن فى غير مواربة ـ والعراق لا يزال محتلا ـ اتحاد سوريا مع العراق سياسيا واقتصاديا .

وقرر ممثلو العراق فى بلاد الشام بدورهم ان يجبهوا العالم بالامر الواقع فيعلنوا استقلال العراق دون ان ينتظروا قرار مؤتمر الصلح ورأوا ان يعلنوا فى غير مواربة اتحاد العراق مع سورية التي لم تكن يومئذ موحدة ، ولا هي مستكملة لسيادتها فى جميع اجزائها.

نشر فى « الحياة » العدد ٢٤٠٥ بتاريخ ٨ اذار ١٩٥٤

وفى الثامن من اذار سنة ١٩٢٠ ، اي قبل اربع وثلاثين سنة ، يوم لم تكن «جامعة عربية »، ويوم لم تكن استقلالات ودويلات ، ويوم لم تكن «اسرائيل» فى الوجود ، ويوم لم تكن تقرع الاذان تصاريح تترى يؤكد فيها اولو الامر فى الاقطار العربية ايمانهم بالوحدة وتقديسهم للاتحاد حتى اذا ما وضعتهم الاقدار على محك التجربة كانوا هم انفسهم المعاول التي تحطم الفكرة الاتحادية ، اجل فى الثامن من اذار هذا ، يوم الاثنين وفى الساعة الثالثة بعد الظهر والمدافع تدوي ايذانابإعلان الاستقلال والجماهير الحاشدة تكتظ بها ساحة الشهداء (المرجة) وقف سكرتير المؤتمر الاستاذ عزة دروزة يتلو بيان المؤتمر ، وفيه يتحدث عن الامة العربية « بصفتها ذات وجود مستقل وقومية خاصة»وعن اهدافها فى نضالها الوطنى وعن ثورتها على الحكومة العثمانية وعن اشتراكها فى الحرب العامة مع الحلفاء استنادا الى وعودهم للحسين ومبادىء ويلسون وتصاريح ساستهم، وما اعقب ذلكمن احتلالات عسكرية فثورات استقلالية ، وان اعضاء المؤتمر الذين يتكلمون باسم الامة ويجهرون بارادتها قرروا الخروج من هذا الموقف ، «**استنادا الى حقنا الطبيعي والشرعى فى الحياة الحرة ، والى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد فى هذا السبيل المقدس وعلى ما نشاهده كل يوم من عزم الامة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها ، والوصول الى ذلك بكل الوسائل،فاعلنا باجماع الاراءاستقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، استقلالا تاما لا شائبة فيه .**»

اتحاد القطرين

ويعلن القرار اختيار سمو الامير فيصل ملكا دستوريا على سورية ، ويعلن انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية ، على ان تدار مقاطعات هذه البلاد على طريقة اللامركزية الادارية ، ثم يقول بالنص : « **ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك ، وكانت الاسباب التي يستند اليها فى استقلال القطر السوري هي ذات الاسباب التي يستند اليها فى استقلال القطر العراقي ، وبما ان بين القطرين صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية تجعلاحد القطرينلايستغني عن الاخر ، فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالا تاما ، على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي .**»

ثم طالب البيان الحلفاء باجلاء جيوشهم عن المنطقتين الغربية (لبنان) والجنوبية (فلسطين) وانتهى بقوله : « وعلى الحكومة السورية التي تتألف ، استنادا الى هذا الاساس ، تنفيذ هذا القرار ».

ولم يكد سكرتير المؤتمر السوري يتلو بيان المؤتمر ، ويرتفع العلم السوري عاليا فى هتاف مدو حتى شرع مندوب المؤتمر العراقي يتلو من الشرفة ذاتها وعلى مسامع الجمهور نفسه **بيان المؤتمر العراقي** وهو فى مقدمته وفى الاسباب التي **استند اليها فى اعلان استقلال العراق يطابق بيان المؤتمر السوري مطابقة تامة ، وتعنينا الان خاتمة البيان وفيها الدلالة ، ابلغ الدلالة ، على الاتجاه القومي لتينك الحركتين الاستقلاليتين ، اذ تقول :**

« **وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته ، اعلنا باجماع**

هذه مقررات مؤتمر ١٩٢٠

فى ما يلي النص الكامل للرسالة التي بعث بها رئيس المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠ السيد هاشم الاتاسي ، الى الملك حسين فى مكة ، مبلغا اياه فيها مقررات المؤتمر السوري :

صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين المعظم

ان القطر السوري العربي الذي يشعر ابناؤه المنة التي اوليتموهم اياها بقيامكم المبارك ، ظل نحو عام ونصف رازحا تحت اثقال الاحتلال والتقسيم العسكري ، الذي كان سببا لمشاكل عديدة ، وباعثا للاضرار فى مصالح العباد ، تتقاذفه الاهواء والمطامع الاستعمارية ، الامر الذي جعل ابناء سورية فى اضطراب وقلق شديدين .

لذلك فقد راى المؤتمر السوري ، المنعقد بدمشق والذي يمثل جميع البلاد السورية ، ان يضع حدا لهذا الموقف الحرج ، ابتغاء صيانة حقوقه وحفظ مصالحه ، فاعلن فى جلسته المنعقدة بتاريخ ٧ اذار ١٩٢٠ استقلال القطر السوري بحدوده الطبيعية ، واختار سمو نجلكم المعظم الامير فيصل ، ملكا دستوريا على البلاد السورية ، بالنظر لما قام به من جليل الاعمال العسكرية والسياسية فى مصلحة الوطن والامة ، واعلن انحلال الحكم العسكري الاحتلالي فى جميع مناطق سوريا ، وكلف الحكومة السورية الجديدة ابلاغ ذلك للدول الاجنبية ، والسعي لحمل الحلفاء على الجلاء عن المناطق فى احتلالها ثم طالب استقلال القطر العراقي ، على ان يكون بين القطرين اتحاد سياسي اقتصادي .

وهكذا دخلت سورية فى دور بعيد من الاستقلال الذي فتحتم جلالتكم بابه ، فكان لكم فيه اليد الاولى ، التي لا ينساها لكم ابناء سورية المخلصون ، الذين يدعون لجلالتكم بدوام الاقبال والتأييد .
يؤيد جلالتكم بقوة منه وتوفيق .

فى ٩ مارس ١٩٢٠

رئيس المؤتمر السوري : هاشم الاتاسي

الاراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لا شائبة فيه ، وايدنا استقلال سورية العام ، واعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا .»

ثم رفع علم الدولة العراقية العربية خفاقا فى فضاء دمشق ، وفى هتاف عظيم تعانق العلمان ، واذا علمت **ان الوان العلمين كانت** واحدة ، وهي ذاتها الوان علم **الثورة العربية ، وهي ذاتها الوان علم الدولة العربية فى الحجاز** ، ادركت بان اتحاد الاعلام فى الاشكال والالوان

ابلغ ما يمكن ان ترمز اليه وحدة الغاية القومية،لقد امتاز العلم السوري بنجمة واحدة ، بيضاء في مثلثه الاحمر ، وامتاز العلم العراقي بنجمتين .

وقد ظلّ العلم العراقي حتى الان على الوانه الاولى مع تحويل المثلث الاحمر الى شبه منحرف، ونقل اللون الابيض الى المتوسط .

وبادر الفرنسيون فور احتلالهم سورية الداخلية الى الغاء ذاك العلم ومحاربة ما يرمز اليه ، مستعيضين عنه بالوان العلم الفرنسي ، ولكن المجلس التأسيسي السوري الذي اجتمع سنة ١٩٢٨ اعاد الى العلم السوري الوانه الاربعة ، واستعاض عن مثلثه الاحمر بثلاث نجوم حمراء ، توضع على النطاق الابيض الذي يمتد في الوسط . وحين تأسست امارة الاردن اختفظت بالعلم الذي قرره المؤتمر السوري ورفع في الثامن من اذار على شرفات دمشق .

اذن ، منذ اربع وثلاثين سنة اعلن ممثلو سورية المتحدة وممثلو العراق اتحاد البلدين سياسيا واقتصاديا، ولم يكن العراق مستقلا ، وكانت فلسطين في النير البريطاني ، وكان لبنان في النير الفرنسي !

بعد ٣٤ سنة

ونتساءل اليوم وقد استقلت سورية الشمالية وصار زمام امرها بيدها ، وقد استقل لبنان استقلالا غير منوط بشرط ، وصارت للعراق دولة ، وغدت متصرفية الكرك في العهد العثماني او متصرفية السلط في عهد الدولة الفيصلية ،دولة اتسعت بما ضم اليها من اشلاء فلسطين عن مصير الفكرة الاتحادية بين هذه الاقطار ؟

ونتساءل عن مصير الفكرةالاتحادية بعد قيام اسرائيل وتطورها الى خطر يهدد الدويلات العربية ، فرادى ومجتمعة ، وبعدما غدت اسرائيل من القوة والبأس بحيث تستطيع ان تنزل كل يوم صفعة قوية على قذال الامة العربية ، كتلك التي انزلتها في قبية ، فتقابلهاالامةالعربية بالشكوى الى مسببي الكارثة وخالقي اسرائيل، وتقابلها بالدموع والحسرات، بالتعازي والتنهدات ـ نتساءل اليوم عن مصير الفكرة الاتحادية فنجد الجواب في ما يلي :

بعد اربع وثلاثين سنة من اعلان الاتحاد السوري العراقي في دمشق ، وبعدما غدت كل ذرة من تراب الوطن العربي تجار بالشكوى من العار الذي اصابها ، وتطالب بالاتحاد سبيلا اوليا للمحافظة على بقية بلاد العرب ، يقف رئيس وزراء العراق، واسمه فاضل الجمالي في مجلس الجامعة العربية ، ويعلن مجرد اعلان، ان العراق مستعد لان يدخل في مباحثات للاتحاد مع اية دولة عربية دون ذكر واحدة ، او الاشارة الى اخرى ، اذا كانت تلك الدولة تريد من تلقاء نفسها وترغب بمحض ارادتها ، ان تدخل في اتحاد سياسي واقتصادي وعسكري مع العراق ، ويؤكد ان العراق مستعد لان يمد يده للدولة العربية التي ترى ان ممكناتها وظروفها تجيز لها ، حسب تقديرها هي لا غيرها ،البحث في الاتحاد السياسي والاقتصادي والعسكري. فماذارأينابعد ذلكوماذا سمعنا ؟

تصاعدت نغمات : هذا مشروع استعماري فاحذروه ، وتلك دعوة

انكليزية او اميركية فاجتنبوها ، العراق مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة ومع ذلك نراه يدعو للاتحاد ، اذن فليسقط الاتحاد !

وتشن الغارات على الجمالي من هذه الاذاعة العربية وتلك ، وتلصق به التهم ، وكل ذنبه ، ويا له من ذنب فظيع ! انه اعلن استعدادالعراق للمباحثة مع من يشاء البحث في الاتحاد !

ويترفق بعضهم بالجمالي فيقولون: « ان هذا المشروع خيالي »، اي ان الدعوة الى اتحاد قطر عربي مع اخر هي خيال فى خيال ، ومع انهذه الدعوة مشتقة من صميم الواقع، فالتاريخ قد علمنا ان الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية كانتا من الخيالات، وان تحقيقهما هو خروج علىالواقع وتمرد على الوضع الراهن ! **وهل المثل الاعلى الا خيال يعيش المؤمنون به من اجله ويموتون فى سبيله ، وهل صانعو التاريخ والمحررون الا اخصب الناس خيالا وابعدهم آمالا ؟ وعلى ضخامةالرسالة تكون همة الرسل وعلى قدر خطورة الغاية تاتي العزائم .**

ويترفق اخرون فيقولون له : « ان اتحاد قطرين يضر بفكرةالاتحاد بين جميع الاقطار ، فاما وحدة شاملة تنتظم فى عقدها الدول العربية الكائنة ، والتي ستكون ، والتي قد تكون ، او لا وحدة ولا اتحاد على الاطلاق ».

ويأتينا الاستاذ عبدالرحمن عزام ، المفروض فيه ان يكون اكثر المصريين ادراكا للحقائق فى العالم العربي ، فيقول مثل هذا القول ، ثم يؤكد ان كل اتحاد لا تدخله مصر يجب الانصراف عنه ، وهو يعلم ان الجمالي حين فتح الباب، انما فتحه على مصراعيه ، امام الدول العربية كلها ، ومصر في طليعتها ، وانه لم يقل لمصر انالعراق لا يريد الاتحاد معك ، وليس اسعد لدى الاتحاديين من اليوم الذي تدعو فيه مصر للاتحاد وتعمل له !

على انه اذا اردنا ان نأخذ بمنطق الاستاذ عزام ، وجب علينا ان نسأله: لماذا يرحب باتحاد السودان معمصر ، ويعمل له ، ولا يشترط جنابه لتحقيقه ان تشترك فيه العراق وسورية واليمن والاردن ولبنان والسعودية وليبيا ؟ اما ان يتحد السودان مع مصر فأمر جائز ، بل ضروري ، بل هو واجب قومي ، واما ان يتحد العراق مع قطر عربي آخر فأمر محرم، ضار ، لا يجوز !

واذا قال العراق ــ وقد قال ــ انا مستعد لان الغي سمات السفر بيني وبين اي قطر عربي يبادلني مثل هذه الرغبة ، واذا قالت مصر : « كلا، لا اريد » ، وقالت السعودية : « لا اريد »، وقالت سورية : «لا اريد» فان العراق يأثم فى حق العروبة، حين تلغى السمات بينه وبين لبنان، وبينه وبين الاردن كما جرى،لانعمله حسب منطقهم يعتبر تكتلا داخل المجموعة العربية ، وخروجا على الاجماع الذي لا بد منه ، الاجماع الذي عجز حتى الان ، عن تقرير الغاء سمات السفر بين الاقطار العربية!

وترتفع اصوات نعلم حقيقة اوتارها لتقول للجمالي : دعوا القطر الاردني يتمتع براحته وطمأنينته ، وهو القطر الذي يعيش على اعصابه وفى قلق راعب على مصيره ، « ولا تتحرشوا » به بالدعوة الى الاتحاد معه !

ولا يفطن هؤلاء ، والموعزون لهم:

الى ان الحجاز كان قطرا مستقلا له كيانه ، وله ملكه، وله رايته وسيادته ثم جاء ابن السعود رحمه الله، فقوض كيانه ، ودمر سيادته ، ثم وحده، قوة وعنوة واقتدارا ، بنجد ، وجعل من القطرين دولة واحدة ، واصطفى احد انجاله نائبا عنه فى حكم الحجاز، فلماذا تصفقون لما تم بالامس بالقوة وتشتمون اليوم مجرد دعوة تقوم على الخيار المطلق والارادة المحض ؟

اقول هذا وانا الذي تمنيت لو استطاع ابن السعود آن يحمل حتى اليمن على الاتحاد معه ، وأن يضم اليه اقطار الجزيرة كلها ومحمياتها، لا الحجاز وحده !

والعراق حين يمد يده الى قطر عربي ، فقير ، ضعيف ، كالاردن سوف يتحمل فى سبيل ذلك من الاعباء المادية الضخمة ما لا تسوغه الا المصلحة العربية ، وسوف يقدم من ماله ومن جنوده ما لا تجيزه الا الصارخة القومية التي تدعوه الى صيانة مستقبل العرب كلهم ، والعراق في مقدمتهم ، ومع ذلك فانه يجد من يهتف : دعونا من هذا الاتحاد! احذروا الجمالي ودعوته المشبوهة !

وكل قائل لهذا القول يجني على بلده ، ويعطي حجة للشعوبيين فى العراق ، الحاقدين على العرب والعروبة ، يحتجون بها فى سوء نية ، قائلين : « ما لنا ولهؤلاء الذين نريد حياتهم ، فيشتموننا ، ويكلفنا الاتحاد معهم ما نحن احوج الى انفاقه فى اصلاح مرافقنا وعمران بلادنا وهم فوق ذلك يتنكرون لنا وتنطلق السنتهم بشتمنا . »

وهنا اتذكر بكل مرارة والم ما قاله لي ذات مرة سياسي عراقي تولى رئاسة الوزارة مرات وقد رحت انعمه فى حرارة بان الواجب القومي يقضي على العراق باداء رسالة اتحادية انقاذية قومية فاجاب : « لا يا صاحبي ، دعونا وشأننا فنحن العراقيين ماكولون مذمومون !»

فمثل هذا القطب السياسي ، سيجد لتسويغ التقصير فى الدعوة الاتحادية كل الحجة فى هذا النعيق ينطلق من حناجر غربان التجزئة واخوان الاقليمية !

سورية والعراق

ويقول قائل : كيف نتحد مع العراق وهو مرتبط بمعاهدة مع بريطانيا ، وهذا القائل الذي كانت غاية الغايات الوطنية لديه ذات يوم ان تظفر سورية من فرنسة بمثل معاهدة العراق ، نسأله : هل قرات المعاهدة المذكورة ؟

وكيف تفترض امتدادها الى قطر اخر وهي قاصرة على وجود مطارين فقط هما الحبانية وسن الذبان قاعدتين للطائرات البريطانية ؟ ان هذه المعاهدة التي نطالب نحن بالغائها ، ونصر على ضرورة الخلاص منها، والتي ستنتهي سنة ١٩٥٦ معقودة بين العراق وبريطانيا فما دخل سورية فى الامر ؟ ولسنا نقصد بقيام اتحاد بين سورية والعراق ان تنضم سورية الى العراق انضماما يجعلها جزءا منه ملزما بشروط المعاهدة العراقية الانكليزية ، ثم ان المصلحة والعقل والمنطق تحتم بان يشترط فى العقد الاتحادي بانه لا يقيد سورية باية التزامات ارتبط بها العراق نحو اية دولة اجنبية ، ومع ذلك فهل تمنع المعاهدة العراقية البريطانية الغاء سمات السفر بين بلدين عربيين ؟ هل تمنع توحيد السياسة الاقتصادية ؟ هل تمنع رفع الحواجز الجمركية ؟ هل تمنع تنسيق السياسة العسكرية والسياسة الخارجية ؟

اذا قلتم : « نعم ، انها تمنع ذلك كله » ، جاز لنا ان نسألكم : لماذا اذن توافقون على هذا الذي يسمى بالضمان الجماعي ، وهو معقود بين دول الجامعة كلها ؟ لماذا توافقون على عقد اجتماعات متوالية لمجلس الجامعة العربية لتقرير توحيد السياسة الاقتصادية والخارجية والعسكرية بين الدول العربية كلها ؟ لماذا تدعون رؤساء اركان الجيوش العربية للاجتماع لتنسيق السياسة العسكرية ، وانتم تعلمون ان مصر ليست حرة التصرف في قناة السويس وتعلمون ان معاهدة ١٩٣٦ كانت قائمة حين تقرر الضمان الجماعي، وتعلمون ان قائد احد الجيوش العربية لا يزال بريطانيا وتعلمون ان معاهدة العراق مع بريطانيا لاتزال قائمة ؟ واما ليبيا فماشاء الله على وضعها السياسي ومعاهدتها المشرفة!

على انكم اذا كنتم خائفين حقا وصدقا على استقلال قطر عربي وسيادته من الاتحاد بدولة كالعراق تقولون ان سيادتها منتقصة بهاتيك المعاهدة ، فاسمحوا لنا ان نسأل هذه الاسئلة الاربعة :

١ـ اذا كان العراق مرتبطا بمعاهدة فهل تجدون ان وضعه الاستقلالي هو دون الوضع الاردني ؟ واذا كنتم تخشون على قطر مستوفر لسيادته فما الذي تخافون عليه في الاردن ؟ واذا صح منطقكم بالنسبة للحال في سورية فلماذا تناوئون انتم ذاتكم ، الاتحادبين العراق والاردن ؟

٢ ـ اذا كان وجود الانكليز في مطارى الحبانية وسن الذبان في العراق يجعلكم تخشون الاتحاد مع العراق وتظنون بدعوته اسوأ الظنون ، فلماذا تتجاهلون ان الانكليز يحتلون في مصر قناة السويس ومع ذلك فان اية دعوة اتحادية يجهر بها مصري مسؤول ترحبون بها ، كما نرحب بها نحن ؟ ولماذا تفرحون معنا حين يفوز في السودان حزب يقول بالاتحاد مع مصر ، مع انالقوات البريطانية لا تزال تحتل قناتها ؟ الا تخافون على السودان كما تخافون على الاردن ؟

٣ ـ ان مدة المعاهدة العراقية مع بريطانيا تنتهي سنة ١٩٥٦ ، اي بعد سنة وبعض السنة ، فاذا استطاع العراق ان يتحرر منها ، واذا تقرر جلاء الطيران البريطاني عن المطارين، فهل توافقون علىالاتحاد ام انكم من الان تفتشون عن الحجج التي تسوغون بها نزعاتكم الاقليمية وتنتحلون اعذارا اخرى ؟ لماذا لا تعلنون من الان استعدادكم للاخذ من الدعوة الاتحادية بالجوانب التي لا تنافي السيادة التامة ، اوالتي لا تتأثر بالمعاهدة المذكورة ؟ لماذا لا تقولون : نحن مستعدون للدخول في مباحثات اتحادية على اساس لا يمس سيادتنا في قليل ولا كثير ؟

٤ ـ سورية ولبنان هما القطران العربيان المستقلان استقلالا تاما لا شائبة فيه ، ولا يزعم احدهما ان للاجنبي سيطرة على الاخر،فلماذا نرى ان الصلات بينهما في العهد الاستقلالي اوهى منها في العهد الانتدابي ؟ ولماذا نرى الحواجز بين القطرين تتضاعف ؟ وهذه القطيعة لماذا لم تلد الا في العهد الاستقلالي الا يدل هذا الحال بين سورية ولبنان على ان وجود الاجنبي ليس وحده العلة كل العلة في اخفاق الدعوة الى الاتحاد ، وانما العلة تجثم كذلك في بنيتنا الوطنية ، وفي تآمر من يضعون مصالحهم الخاصة في المرتبة التي لا تدانيها مرتبة المصلحة القومية العامة ؟

اني اكتب هذا المقال واذاعة اسرائيل وبعض اذاعاتنا العربية ، وصحف اسرائيل وبعض صحفنا العربية تندد بالجمالي وتحمل على دعوته ، فلا بد لي من ان ارسل هذه الكلمات الصريحات الواضحات

اوحت بها الذكرى الرابعة والثلاثون ليوم ٨ اذار ، وحسبي ان انزه نفسي عن الخيانة التي عناها الكاظمي الشاعر بقوله :

ومن لم يبن في قومه ناصحالهم
فما هو الا خائن يتستر

اكرم زعيتر

كفى جهلا بالاتحاد !

يحفزنا ما تكتبه بعض الصحف المصرية فى الشؤون العربية الى اعادة القول فى كثير مما نؤمن به وندعو اليه . ومعظم ما يكتب هناك معاد ، مكرر ، وما تتذرع به هاتيك الصحف في مهاجمة الدعوة الاتحادية اسطوانة الفنا سماعها ، وهي تدار فى غير كلال ولا ملال !

ويعود السبب فى هذا الحشد من الاخطاء التي تقع فيها الصحف المصرية حين تكتب فى الشؤون العربية الى جهل لحقائق الحال فى الاقطار العربية ، والى التباين بين ما نفهمه نحن من معنى القومية العربية وبين ما يفهمون ، ونحن القوميين العرب لا نسمح بان تقوم بجانب قوميتنا العربية الشاملة قومية عراقية واخرى سورية وثالثة مصرية ورابعة لبنانية ، بينا يصر بعض كتاب مصر على ان هناك قومية مصرية وقومية عربية وقومية سودانية !

ويعود ، كذلك ، هذا الحشد من الخلط فى الشؤون العربية الى ان بعض انطباعات قديمة عن اشخاص وعن ساسة وعن اوضاع فى الاقطار العربية هي ثابتة ، مستقرة فى اذهان اولئك الكتاب لا يبغون عنها حولا ولا يريدون لها تبديلا . ولعل الاصرار عليها رغم وضوح الخطأ فيها ادعى الى تطمين الكبرياء والغرور وزعم الاحاطة بكل شيء .

وما نستطيع هنا الا ان ننوه كذلك بتأثير المادة الساحرة المؤثرة ترد من قطر عربي في اغداق حاتمي كما اننا لا نستطيع ان نتجاهل اثر تلك النظرة الاقليمية المحلية التي تظن خطأ ان « العروبة » ليست صفة اصيلة للمصريين ، وانها محض ورقة بيدهم يحرصون على ان تكون رابحة ، وما اعتادته بعض صحفهم من التأثر بموقف اولى الامر في الشؤون العربية ، وهو موقف تفعل اعتبارات مختلفة فى تقريره ، حتى صرنا نرى ان للعروبة في مصر مواسم تمحل آونة وتخصب اخرى ، فتارة نرى الكتاب جهابذة فى القومية العربية ، واخرى مداره الشعوبية والتجزئة والاقليمية .

وما يوجب علينا الاهتمام البالغ بما تكتبه صحف مصر ومناقشتها هو الرجاء الضخم الذي تنيطه القومية العربية باكبر اقطارها واعظم بلادها ، وهو يحتم علينا ان نطلع مصر على الحقيقة من قضايانا ، كما نطلع نحن على الدقائق في شؤونها ، حتى نتلاقى دائما في معالجة مشاكلنا على صعيد القومية العربية الواحدة .

« مقال الاسبوع » فى « الحياة » العدد ٢٤٨٠ بتاريخ ٦ حزيران ١٩٥٤

وما يوجب علينا الاهتمام، كذلك ، هذا التأثير الذي للطباعة المصرية في توجيه الراي العربي العام بسبب انتشار صحفها وكتبها وامتداد اذاعتها في الاقطار العربية كلها .

وما نتحدث اليوم عن الاستاذ التابعي ، ذلك الكاتب الذائع الصيت، الذي جره فهمه لحقائق الامور الى القول بان اسرائيل هي التي تدعو الى اقامة الاتحاد بين العراق والاردن او بين سورية والعراق والى « ان سورية سوف تشملها معاهدة « الدفاع المشترك » القائمة بين لندن وبغداد اذا هي اتحدت مع العراق» . والى قوله : ان الغاية من الاتحاد هي « انشاء امبراطورية عراقية هاشمية » .

هذا الفهم الذي جره كذلك الى الزعم اخيرا بان الصحف العراقية انما تحمل على الحكومة المصرية اليوم مدفوعة من نوري السعيد ، ولماذا ؟

قال : « لان حكومة مصر تتشدد في موقفها حيال بريطانيا وسياسة بريطانيا » ، جاهلا ان الصحف العراقية التي تحمل على حكومة مصر انما هي اشد حملة على نوري السعيد ، جاهلا كذلك انها اعنف الصحف العربية تنديدا بالانكليز وسخطا عليهم ، وانه ما من صحيفة عربية واحدة نقمت او تنقم من حكومة مصر لتشددها حيال الانكليز ، وان انتقادا يوجه الى محكمة الثورة وان انتصارا لزميل صحفي مضطهد ، لا يعنيان انتصارا للانكليز ودعوة الى التساهل معهم .

ولن يدهشنا بعد الان ان نسمع من الاستاذ التابعي او من غيره زعما بان اسرائيل هي التي تحرض الولايات المتحدة على تسليح العراق وان اتفاقية التسليح العراقي مؤامرة

أسرائيلية ، عراقية ، اميركية لتقويض بنيان الجامعة العربية ولضرب القضية المصرية في الصميم!

وطاف الاستاذ مصطفى امين بعض الاقطار العربية وعاد بحصيلة فكرية ثمينة دعته الى كتابة مقالات ممتعة موفقة في الاتحاد العربي قلنا حين تلاوتها : هذا ربح للقومية العربية !

وكتب الاستاذ محمد حسنين هيكل في « اخر ساعة » التي تصدرها دار « اخبار اليوم » اثر جولة له في بعض الاقطار العربية عن العقد النفسية التي تحكم العالم العربي، تحدث فيه عن الدعوة الاتحادية حديث الفاهم النافذ الى حقائق الامور .

ولكن جريدة « اخبار اليوم » نفسها ، وهي جريدة كبرى ، واسعة الانتشار لم تلبث ان كتبت في عمودها الرئيسي مقالا نددت فيه بالدعوة الاتحادية وحشدت فيه كل ما يرد على السنة خصوم الدعوة من حجج ، او قل انها وضعت على الحاكي تلك الاسطوانة المأثورة .

ولما كانت هذه المقالة قد جمعت كل ما يقوله خصوم الفكرة وما يتذرعون وما يحاجون الناس به فاننا نرى من واجبنا القومي ان نرد عليها وان نحتكم الى المنطق والى الواقع الراهن والى مقتضيات المصلحة العربية العامة ونحن على ثقة بان في طبيعة صاحبيها الصديقين مصطفى وعلي امين من الجنوح الى معالجة الامور معالجة لا تنكر الواقع ولا تجافي المنطق ما يرحبان معه بمثل هذا النقاش الذي يخدم الحق والحقيقة وحدهما .

قالت اخبار اليوم : « اننا

نشعر بقلق عندما نسمع ان هناك من يلوح بمشروع ضم سورية الى العراق او ضم العراق الى الاردن . وتحاول كل دولة عربية ان تكبر مساحتها على حساب اخواتها » .

ثم قالت : « ونحن ننظر بريبة وشك الى كل محاولة يراد بها احداث تفكك في كلمة الامة العربية ونرى ونحن دعاة اتحاد الشعوب العربية اتحادا كاملا ان مشروعات الاتحادات الجزئية او المناورات بضم بلد عربي او احداث قلقلة في التوازن الموجود في البلاد العربية لا يخدم احدا الا اسرائيل والاستعمار »

ثم قالت : « اننا الان في حاجة الى ان نزيد عدد الدول العربية لتزيد اصواتها في الامم المتحدة » .

ثم قالت في مقال اخر : « فلنتعاون اولا على تخليص بلادنا من الاستعمار فلنحرر العراق والاردن ومصر والسودان والكويت والبحرين وولايات الخليج الفارسي ، وبعد ذلك لنبحث في الامر » .

واشارت الى ان الدعوة الى الاتحاد انما هي دعوة بريطانية تريد بها بريطانيا القضاء على وحدة الدول العربية !

ونرى قبل الرد على الاخطاء التي اكتظت وتراكمت في مقال « اخبار اليوم » ، او في تلك الاسطوانة التقليدية التي لا يفتأ بعض الكتاب المصريين يرددونها ان نمهد له بايضاح بعض ما يعتقده دعاة الاتحاد من القوميين العرب فنقول :

ان دعاة الاتحاد من القوميين يعتقدون ان وجود الامة العربية منوط بالاتحاد ، واذا كان الاتحاد قبل قيام اسرائيل امنية قومية غالية لا بد من تحقيقها لتتوافر للامة العربية القوة والسيادة والثروة والمنعة فانه غدا بعد قيام اسرائيل قضية وجود او عدم ، وكل ما في الدنيا دون الوجود اهمية .

ويعتقدون كذلك ان الاتحاد هو اهم واجدى وسيلة للتحرر الكامل ، وان هناك اقطارا عربية كالاردن لا يمكنها ان تتحرر مما هي فيه الا عن طريق هذا الاتحاد ، فالقول بارجاء الدعوة الى الاتحاد حتى يتم التحرير هو حيلولة دون التحرير ذاته ، او هو تعويق لتحرير بعض الاقطار ، والتجزئة سبيل الاستعمار للسيطرة ، فكل دعوة تناوىء الاتحاد هي في ذاتها خدمة غير مقصودة او مقصودة للاستعمار .

ويعتقد القوميون من دعاة الاتحاد انه يهدف الى تقوية « الكل العربي » ويتنزه عن تقوية قطر واحد بالمفهوم الاقليمي ، وعلى حساب قطر اخر ، والربح الذي يعود على قطرين اتحدا انما يعود على العرب كلهم ، والقوة التي تصيب قطرا عربيا انما ينتفع بها العرب كلهم ما دام هذا القطر عضوا في المجموعة العربية وركنا من اركان قوميتها .

ودعاة الاتحاد لا يحتمون ان يكون هناك اتحاد بين قطرين بالذات ودون غيرهما ، فهم يرحبون باي اتحاد يقع بين بلدين عربيين او اكثر ، فاتحاد مصر والسودان في نظرهم ربح للعروبة عظيم ، واذا دعا في ليبيا داع الى الاتحاد مع مصر ايدوه ، واذا قال قائل بتوحيد اقطار الجزيرة باركوا له وجندوا انفسهم في خدمة دعوته ، اي انهم ليسوا كبعض اخواننا من الكتاب المصريين الذين هم اتحاديون حين يكون الموضوع بين السودان ومصر ، واقليميون شكاكون ، اخوان تجزئة

حين يتعلق الامر بغير مصر والسودان!

وليس مهما في نظر الاتحاديين على يد من يتحقق الاتحاد. وهم يتعالون عن ان يهدفوا الى تغليب اسرة معينة ومناواة اخرى ، بل انهم اعداء العصبيات الاسرية القبلية والاقليمية .

ولكن احداث الدهر ، وما اصاب الامة العربية من ويلات حملتهم على ان يكونوا عمليين . انهم يستنكرون الواقع ويكرهونه ، انهم يريدون الخلاص من هذا الواقع ولكنهم واقعيون بمعنى انهم لا يتجاهلون هذا الواقع ولا يغمضون اعينهم عنه ولا يستخفون به .

والقوميون من دعاة الاتحاد لا بد لهم من ان يجعلوا في حسبانهم عنصرين مهمين هما : عنصر « الامكان » او الاستطاعة وعنصر « النفع » الذي يعود على المجموعة العربية ويتعلق بمستقبلها أي بالمصلحة الشاملة لا القطرية ، فاذا امكن اتحاد الاردن مع سورية فذلك خير وبركة ، واذا امكن اتحاد الاردن مع السعودية فذلك خير ، واذا لم يكن ممكنا الا مع العراق فالدعوة اليه واجب محتوم الاداء !

ولنضرب مثلا في اهمية عنصري الامكان والنفع العربي العام بالدعوة الى اتحاد الاردن مع العراق . ففي معنى الامكان راعوا ان العراق هو الذي اعلن رسميا سياسته الاتحادية، وهو الذي اعلن استعداده للبحث مع اية دولة عربية تريد بمحض ارادتها ان يكون بينها وبين العراق اتحاد .

وفي عنصر الامكان راعوا ما هو متوافر في العراق من حيث نظام الحكم والقرابة والوضع السياسي العام والعلاقات الدولية وقوة الاستيعاب والطاقة المادية والتمهيدات التاريخية الحديثة .

واما عنصر النفع العربي العام فهو قائم على اعتقادهم بان وجود الامة العربية او بقاء قوميتها منوط بزوال اسرائيل ، او ببقاء فكرة الثأر حية نامية في نفوس العرب . ويوم يدخل في روع العرب ان المعركة قد انتهت ، وان اسرائيل باقية لا تموت ابدا فان القومية العربية تكون قد خسرت شوطها الاخير ، فالوجود العربي موقوف على مدى القدرة على قراع اسرائيل ومنوط بما ينتهي اليه السجال بيننا وبين اسرائيل. فعلى ضوء هذا اليقين نعتقد ان المصلحة العربية تقضي بان تكون بين العراق واسرائيل حدود مشتركة ليكون دوره جوهريا ، هو دور الملزم بان يعبىء لكل قواه – وهي ضخمة هائلة – للدفاع عن حدوده ، وهذه الرغبة القومية الحيوية لا يحققها الا الاتحاد !

ونأتي بعد ذلك الى « اسطوانة » خصوم الدعوة الاتحادية فنقول : لعله من الجهل او من سوء التعبير ان يقال ان هناك من يقترح ضم العراق الى الاردن ، وما سمعنا ان انسانا واحدا اقترح ان يضم العراق الى الاردن ، حتى تشمل الدولة الاردنية العتيدة القطر العراقي وتطويه تحت جناحيها القويين الرحيبين !

كما انه لم يلوح احد بمشروع « ضم » سورية الى العراق ، او الى اي قطر عربي اخر ، وانما الدعوة هي الى « الاتحاد » لا الى « الضم » والبون بين الضم الذي يذيب قطرا في اخر او يوسع رقعة قطر على حساب اخر وبين الاتحاد في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية شيء اخر .

وشتان بين دعوة للاندماج يزول معها نظام الحكم القائم والتنظيمات الراهنة زوالا كليا ، وبين دعوة الى اتحاد يجعل بلدين ذوي تمثيل سياسي واحد وسياسة واحدة وعملة نقدية واحدة واشتراع اقتصادي موحد ومناهج دراسية واحدة وقيادة وخطط عسكرية متحدة الخ ..

وهذا الخلط بين الاتحاد والضم وجهل ما بينهما من فرق انما يخلق للاتحاد خصوما ، وقد مرت هذه التجربة بمصر ، ورات كيف كان اعداء اتحادها مع السودان يستغلون ما كانت تكتبه الصحف المصرية عن ضم السودان لمصر ، وعن حقوق مصر في السودان ، ولم يقدر للدعوة الاتحادية الفلاح المنتظر في مصر والسودان الا حين تبلورت في اتحاد يتساوى فيه الطرفان وحين انتفى من الاذهان ان مصر تود ان تكبر مساحتها على حساب السودان كما تتوهمون جهلا انه كذلك في موضوع سورية والعراق .

اما الزعم بان الاتحاد يؤدي الى تفكك كلمة الامة ، وقد يقضي على جامعتها فنرى من واجبنا ان نكون صريحين في تفنيده وان نتساءل : لماذا يفترض حدوث شقاق بين المجموعة العربية اذا اتحد قطران من اقطارها ؟ ولماذا لا يكون شقاق اذا كان هذان القطران هما مصر والسودان ؟

ان المادة التاسعة من ميثاق الجامعة تقول بالنص : « لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون اوثق وروابط اقوى مما نص عليه هذا الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الاغراض » .

هذا النص الصريح الواضح من ميثاق الجامعة التي يخافون عليها يدعم الفكرة الاتحادية ويسوغها .

وفي اجتماع مجلس الجامعة العربية المنصرم ، وحين عرضت الحكومة العراقية دعوتها الاتحادية ، قرر مجلس الجامعة شكرها ، واحالة الدعوة الى الحكومات فرادى لتبدي رايها فيها ولم تقل الجامعة ان مثل هذه الدعوة تفكك كلمتها ، فما بالكم انتم احرص من الجامعة على الجامعة نفسها ؟

اننا نتساءل ما هو الضرر الذي يحيق بمصر من قيام دولة اتحادية قوية على الضفة الشرقية لاسرائيل ؟

لقد سمعت بنفسي من جمال عبد الناصر وصلاح سالم ما يدل على انهما يعتقدان ان في ذلك مصلحة مصر فضلا عن كونه في مصلحة الامة العربية كلها ، ولكن الذي يبدو لنا هو ان دولة واحدة بين الدول العربية تملك من الوسائل ما تستطيع معه ان تثير الشبهات حول الاتحاد ، وان تؤلب الناس عليه وان تثير عليه « المطبعة » المصرية ، وذلك بحافز من عصبية عائلية وحذر احتمالات قد لا تلائم مصلحة الاسرة مع انها قائمة على الوهم ، ومعنى هذا انه يجب الا يكون اتحاد بين قطرين ما دام هناك حاكم واحد او اسرة واحدة تظن ان مصلحتها الخاصة في التجزئة !

ومع ان الدعوة الاتحادية تتفق والمادة التاسعة من ميثاق الجامعة ، فاننا نريد ان نصارح اخواننا المصريين بقولنا اننا نعتبر الجامعة العربية خطوة نحو الابعد ومرحلة نحو الاوسع . اننا نعتبرها تمهيدا للاتحاد الشامل ، وعلى هذا نرى ان بقاءها ضرورة قومية ، ولكن حين تغدو اداة لتخليد الحدود ومؤسسة

لتحنيط الكيانات وحماية التجزئة والدفاع عن الحالة الراهنة التاعسة وعن التوازن السخيف المزعوم بين دول الامة الواحدة باسم المحافظة على سيادة اعضائها واستقلالاتهم ، فانها تغدو ضارة مفرقة ويغدو زوالها ضرورة قومية .

ان المادة السابعة من ميثاق الجامعة الذي ينظم علاقاتها يشترط الاجماع لتكون مقرراتها ملزمة وكل دولة تكون في حل من تنفيذ ما يقرره المجلس اذا هي خالفته ، وقد ثبت في المعركة الفلسطينية ان بقاء العلاقات بين البلاد العربية على صورتها الواهية لا يمكن ان يرد عدوان اسرائيل بله القضاء عليها .

وتعالوا نتصارح اكثر من هذا : هل صحيح ان الدول العربية متفقة الكلمة موحدة الراي تخشون تفكك كلمتها اذا اتحد قطر عربي مع اخر على الا يكون القطران المتحدان مصر والسودان ؟

ومع ذلك فاننا نقول بملء افواهنا ان شقاقا في حق ، خير من تضامن في باطل ، واتفاق على دخل ، وقيام اتحاد بين دول عربية تدعو اليه غريزة البقاء وتمليه الحاجة القومية ويحتمه الخطر الداهم وهو استجابة للصارخة الوطنية ، لاجدى على العرب والعروبة من جامعة قصرت مهمتها على اصدار التصاريح !

انا لا نقول بزوال الجامعة وندعو في حماسة وحرارة الى اصلاحها وتقويتها وجعلها اداة قومية نافعة ولكننا لا نتردد في الدعوة الى زوالها حين يراد بها ابقاء هذه الامة دويلات كالقصبات المرضوضة في الاعاصير العالمية .

وما قيمة الجامعة اذا هي عجزت بعد الكارثة حتى عن الغاء سمات السفر بين اقطارها ، وعن توحيد القيادة العسكرية بين جيوشها ، بل عن توحيد الالقاب والمصطلحات العسكرية كما عجزت عن ان توحد نقدا ، او ان تزيل حاجزا او ان توحد تمثيلا سياسيا ؟

وتدعو « اخبار اليوم » الى اتحاد الشعوب العربية وقد آن الاوان لان نبدد هذه الاسطورة ، وان نظهر زيفها.

ان الدعوة الى اتحاد الشعوب لا الدول ، انما يراد بها التثبيط والعرقلة لاي مسعى اتحادي يبذل .

ان عبارة « اتحاد الشعوب » لا معنى لها في القاموس السياسي وفي المصطلحات الدولية . وكيف يتحد شعب مع شعب ، على ان تبقى حكومتاهما غير متحدتين ؟

انني اتساءل متى كانت الدولة لا تشمل شعبها ؟ واتساءل هل من تعريف او تحديد جغرافي للشعب وهل من تحديد اخر للدولة حتى نقول باتحاد الشعبين من دون اتحاد دولتيهما ؟

تقولون ان الفئة الحاكمة في بعض الاقطار العربية غير ممثلة للشعب ، ولكن هل الدولة هي الفئة الحاكمة ام انها تشمل الشعب والارض والسلطة؟ وهل الاتحاد هو اتحاد الحاكمين في قطر مع الحاكمين في قطر اخر حتى تقولوا لا نريده ؟

هل الاتحاد بضاعة تافهة ثانوية من حق اي انسان ان يرفضها لان البائع لا يعجبه ام انه حق طبيعي اساسي تتوقف عليه حياة الامة العربية ، وعليها ان تعمل له وان تحققه سواء اعجبتها الاداة الحاكمة او لم تعجبها ؟

اجل ماذا يريدون بالاتحاد الشعبي؟ ان كانوا يريدونه عاطفيا فانا اشهد

انه موجود الان ، ولكنه تعاطف لم ينقذ فلسطين ، والاقتصار عليه لا يدفع شرا ، ولا يخطو بالامة العربية خطوة عملية واحدة .

انني افتش عن انموذج او مثال للاتحادات الشعبية بين امم الارض فلاجده الا في اذهان دعاة التجزئة !

قد تقولون : « انما نريده اتحادا منبثقا من ارادة الشعب » . وهذا قد نقركم عليه . ولكننا نراكم تستغلون ما فيه من بريق ظاهري اخاذ لتوسيع الحملة على كل دعوة اتحادية !

اننا نؤمن بان الاتحاد ضرورة لبقاء الشعب العربي ، والمفروض في الشعب انه يريد بقاءه ، وليتكم تقولون لنا كيف يفاوض شعب شعبا اخر ليتحدا معا ؟ وكيف يجب ان يتم عن غير طريق الاداة الحاكمة ؟ هل ترون ان يجتمع سبعة او ثمانية ملايين ليتفاوضوا في كيفية اتحادهم ؟ هل هذا ممكن ؟ ام تريدون ان يجتمع ممثلو هيئات شعبية في قطر بممثلي هيئات شعبية في قطر اخر، دون أن يكون بيد أولئك وهؤلاء سلطات لتنفيذ ما يقررون ؟

ومع اننا من القائلين بان تكون الكلمة الاخيرة للشعوب في ما يتعلق بمصيرها ، فاننا نود ان نفترض المستحيل وان نزعم ان الشعب في الاردن والعراق لم يبد ارادته في عقد الاتحاد ، فما هو واجبي وواجب كل من يؤمن بان الاتحاد هو الوسيلة الوحيدة للخلاص ؟

ما هو واجبنا ونحن نرى اسرائيل طامعة في ابتلاع الاردن ، ونرى الا منجاة للاردن الا بالاتحاد ؟

ان واجبنا القومي يحتم علينا ان نقول للشعب : « انك تريد الاتحاد ويجب ان تريده ! » . وواجبنا ان نحمله على ارادته وواجبنا اذا سنحت الفرصة وامكن تحقيق هذا الاتحاد ان نبادر الى تحقيقه ،والاثم في حق قوميتنا بترك الفرصة تفلت من ايدينا ، رغم ما قد يظهر من الضلال في تعبير الشعب عن ارادته بفضل سوء التوجيه وجهله الحقائق المتعلقة بحياته .

وقد تخدم الشعوب رغم انفها من اولئك الذين يتحملون اذاها ، ولكن في سبيلها ، ولهم اسوة حسنة بالرسل والمصلحين وبناة الدول وموحدي الامم . ومن قرا سيرة بسمارك ووعاها ادرك ان هذا البطل العبقري الموحد كان ينفذ ببصيرته الى مواطن القوة والخير لامته ، ما لم تكن تنفذ اليها بصيرة السواد من ابنائها . حقا ان القول باتحاد الشعوب اولا اسطورة زائفة يرددها اقليميون او مخدوعون او شعوبيون مفرضون .

على ان ابدع ما في الدعوة الى اتحاد الشعوب ، هو اشتراط الاجماع والتنديد بالاتحادات الجزئية فاعجب اي عجب لمن يقول : « اما ان تتحد جميع الاقطار العربية معا ودفعة واحدة او لا اتحاد ! »

ومعنى هذا يكفي ان يقول امام اليمن او امير قطر او شيخ البحرين « لا نريد الاتحاد » حتى لا يكون اتحاد !

ان هذا الداعية الى اتحاد الشعوب العربية كلها يدعو في الحين ذاته الى تكثير دويلاتها ، ويحذر من اختصار هذه الدويلات فهل يبقى بعد ذلك مجال للمزيد من العجب ؟

ويخشى بعض الكتاب المصريين احداث قلقلة في « التوازن » الموجود بين الدول العربية ، فما

معنى هذا التوازن ؟ هل معناه ان تظل الاردن هي الاردن ، والكويت هـي الكويـت وليبيـا هي ليبيـا ، لا تزيـد الواحـدةولا تنقص ؟

وهذا التوازن المطلوب تخليده ، والذي تعضون عليه بالنواجذ هـل هو بين دول اجنبية يخشى بعضهـا بأس بعض ؟ انه بين دول فيامـة واحـدة !

لقد كانتسياسة بريطانيا قائمةعلى استمرار التوازن الدولي فـي اوروبا خشية ان يؤدي فقدان التوازن الى تقويـة المانيا اوغلبة غيرها ، وخشية ان يؤديفقدان التوازن الىخسارتها منزلتها والكثير من مصالحها،فالدعوة الى التوازن الدولي مفهومة حين تكون بين اجانب يكره بعضهم بعضـا ويتربص بعضهم الدوائر بالاخر .

اما التوازن بين الدول العربيـة فمعناه ابقاء هذه الامة مجزاة الـى دويلات تافهة . وجريا على سبيل التوازن واخذا بمنطق التوازن يجب ان يحظر على اية دولة عربيةانيفوق ما تتقوى به من اسلحة ما تتقـوى به اخواتها ، اقول هذا وانـا الـذي اعجبت بقول صلاح سالم : « ان كل دبابة يظفر بها الجيش العراقي كانما ظفـرت بها مصر ... »

هذا ولست ادري لماذا لا يختـل التوازن اذا اتحدت السودان الكبرى مع مصر الكبرى ، ولكنه يختـل اذا اتحدت الاردن الصغرى مـع دولة العراق المتواضعـة !

لماذا لم يختل التوازن المقـدس حين ضمت الحجاز الى نجد ضمـا لا اتحادا ، ولكن هذا التوازن يختـل اذا اتحدت العراق مع سورية اتحادا؟

لماذا لم يختل التوازن يوم ضمت اشلاء فلسطين وهي ما نطلق عليـه الضفة الغربية الى الضفـة الشرقية للاردن، ولكنه يختلاذا اتحدت هاتان الضفتان مع العراق اتحـادا ؟

ومن اعجب العجب الزعـم بـان الاخلال بهذا التوازن انما يخـدم اسرائيل ، في الوقت الذي تصيح فيه اذاعات اسرائيلوترى فيه تصريحات زعماء اسرائيل منذرة العرب بالشـر اذا هم اقدموا على الاخلال بالتوازن الراهن بين دولهم عن طريق الاتحاد، وها هي ذي صحف اسرائيل وبيانات ساستها تحمل فى غير هـوادة على الدعوة الاتحاديـة وتهدد بمقاومتهـا بالقـوة !

والبيان الثلاثي للدول الغربيـة الثلاث ، انما هو ميثاق بينها لضمان استمرار التوازن الراهن بين الـدول العربية نفسها وبينها وبين اسرائيل، فهل يرضيكم يا اخواننا ان تلتقـوا دائما مع اسرائيـل ومع الـدول الاستعماريـة الثلاث فى هذا الصعيد بالذات ؟

وهل ارضى لضمائركم واقـر لعيونكم ان تظل الاردن في وضعهـا الراهن ، تعيش على اعانة بريطانيـا وتحتمي بها ويقود جيشها بريطانـي وتعيش على اعصابها من اتحـاد قد يخل بهذا التوازن الذي تقدسونه؟

ولعل ابلغ ما يدل على عقلـية خصوم الاتحاد ولا سيما اخوانـنا الكتاب المصريين قول « اخبار اليوم»: « اننا في حاجة الى ان نزيد عـدد الدول العربية لتزيد اصواتنا فـي هيئة الامم . »

و « اخبار اليـوم » تخشى ان يؤدي اتحاد ما الى اختصار هـذه الاصوات ... انني حين قرات هـذا رثيت لحال بريطانيا المسكينـة الضعيفـة ، واشفقت علـى الولايات المتحدة الواهنة البائسـة، وحزنت على الهند ذات الثلاثمئـة

مليون نفس لانه ليس لكل واحدة من هذه « الدويلات » الا صوت واحد فقط ، وكدت ابكي اسى على اسبانيا وايطاليا والمانيا واليابان ورومانيا وبلغاريا ، ، لانها لم تستطع ان تظفر بشرف الانتماء الى هيئة الامم ، مع اننا نحن العرب الذين قهرتنا عصابات اسرائيل نملك في هيئة الامم ستة اصوات عدا ونقدا ، وتزدان قاعة هيئة الامم بعمائمنا وعقلنا وعباآتنا وخناجرنا ، الشيء الذي لا تحلم روسيا بان يكون لها مثله !

وما قول الكاتب المفضال في ان نقيم في الاسكندرية دولة منفصلة عن مصر ، ليكون لها صوت في هيئة الامم ؟ او ليس اربح وانفع ان نقيم في اسوان دولة اخرى ذات صوت جديد في هيئة الامم ؟ ولماذا لا نقترح على بريطانيا ان تعود القهقرى ، فتجزيء نفسها اربع دويلات هي اسكتلاندا وويلز وانكلترا وشمال ايرلاندا ، فيكون لها اربعة اصوات مدويات بدلا من صوت واحد ؟

بل لماذا لا نقترح على الولايات المتحدة ان تتفتت خمسين دويلة ليكون لها خمسون صوتا ؟

ويظهر ان هذا الذي التمع بذهنكم لم يخطر ببال المسكين جواهر لال نهرو ، فاحجم حتى الان عن تفتيت الهند خمسين دويلة فيكون لها مجد خمسين صوتا في هيئة الامم ما دامت دولنا العربية المحظوظة تملك ستة اصوات ، وهي لا تكاد تبلغ الثمن من سكان الهند ، فضلا عن ان الهند احق بالتجزئة بسبب اختلاف لغاتها وتباين لهجاتها وتعدد دياناتها !

وترى « اخبار اليوم » ان يرجأ البحث في الاتحاد الى ان يتم تحرير الكويت والبحرين وولايات الخليج الفارسي ، ناسية عدنا والمحميات التسع متجاهلة بلاد المغرب ، وكان الاحرى بها ان تدعو الى ارجاء البحث في الاتحاد حتى تتم تقوية اسرائيل وتبتلع ما تستطيع حوصلتها ان تحتويه من بلاد العرب .

نعم اذا تصاعدت بعد اليوم دعوة الى اتحاد قطرين عربيين – ما عدا مصر والسودان – فان الواجب يدعو كل عربي الى ان يهب في وجه الدعاة قائلا : « تريثوا ، تريثوا ، ان حضرموت وقطر ومكلا لما تستكمل استقلالها ! »

او الأحرى به ان يقول : « كفوا لان ملكا او اسرة او حاكما او زعيما يتوهم ان مصلحته الخاصة في غير هذا الاتحاد ! »

ومع ذلك فما تعرفونه يا اخواننا الكتاب المصريين ، وما نعرفه نحن ان مصر على الرغم من الشوط الذي قطعته في مضمار السيادة ، وبعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية فيها ، وعلى الرغم من ان السودان كان ولا يزال محتلا احتلالا كاملا من قبل القوات البريطانية ، فانكم لم تتنكروا لفكرة الاتحاد مع السودان ، اي ان الاحتلال البريطاني للسودان لم يمنعكم من ان تنادوا بالاتحاد معه ، وان تعملوا له وان تتصلوا بزعمائه .

ولم ترددوا – وانتم على حق – في الاتصال باعدائكم الانكليز ، ومباحثتهم ومفاوضتهم والاتفاق معهم على الاتفاقية الاخيرة التي اعتبرتموها واعتبرناها معكم فتحا مبينا ونصرا للدعوة الاتحادية ، ولم نسمع ان عربيا واحدا انبرى يقول « لا يجوز لمصر ان تعمل للاتحاد

مع السودان لان سيادة السودان منتقصة ! » كما اننا لم نسمع ان سودانيا اتحاديا قال : « كيف نتحد مع مصر وفى قناة السويس بريطانيون ؟ »

اقول هذا مع علمي بانه لن يشرع فى التطبيق العملي للاتحاد الا في النطاق الذي لا يمس سيادة مصر واستقلالها وقد كتبت فى ٨ اذار من هذا العام في « الحياة » عن سابقة كريمة في تاريخنا القومي الحديث ، حين قرر المؤتمر السوري في دمشق قبل اربع وثلاثين سنة استقلال سورية المتحدة ، وكانت بعض اجزائها لا تزال محتلة ، وحين قرر اتحادها السياسي والاقتصادي مع العراق الذي كان محتلا احتلالا عسكريا . ويوم قرر المؤتمر العراقي بدوره استقلال العراق واعلن اتحاده مع سورية سياسيا واقتصاديا ، ويوم جعلت الوان الرايتين السورية والعراقية واحدة آية العزم على اعتبار ذينك البلدين العربيين متحدين . وقد برهنا في ذلك المقال على وهن الزعم بأن الاتحاد يذهب بسيادة سورية ،وقلنا ان الشعار الذي يجبان يسود اية مباحثات اتحادية : « ما نافى السيادة العربية والاستقلال الوطني مرفوض وما واءم السيادة والاستقلال مقبول . »

وتقول « اخبار اليوم » بعد ذلك ان الدعوة الى الاتحاد هي دعوة بريطانية ، او هي دعوة استعمارية . واننا نتخذ من هذا الزعم فرصة للبحث الصريح فنقول : ان الاصل لدى الاستعمار ولا سيما الانكليزي ان تبقى هذه الامة مجزاة ضعيفة ، جاثمة على اقدام الاقوياء تنشد حمايتهم ، وهذه التجزئة قد مكنت الانكليز من ان يظهروا في قطر كالاردن بمظهر الحماة الذادة ، وهي وما اورثته من ضعف الفتوى التي يسوغ بها المسوغون بقاء هذا الحامي ليدفع عن الاردن العدوان الاسرائيلي ، والانكليز انفسهم يدركون ان الاتحاد واسطة للخلاص منهم والخلاص من المسوغات لوجودهم !

وهذه التجزئة فى البلاد العربية ، التجزئة التي اصبحت كانهاالطبيعية، وكأنها الاصل الاصيل ، انما هي من صنع الاستعمار وهذه الحدود هو الذي رسمها وهو الذي خططها ، وعلى الرغم من هذه الحقائق فانني اريد ان افترض المستحيل ، وان امعن في افتراض المستحيل ، فازعم كما تزعمون بان الدعوة الاتحادية هيدعوة بريطانية ، فهل يجيز لي هذا ان ارفضها نكاية ببريطانيا وكرها لها ولو كانت في مصلحتي القومية ؟

ان المقياس الاول والاخير الذي يجب ان نقيس به الامور هو المصلحة العربية العامة ، واهدافنا القومية ومثلنا العليا فما لاءمها وخدمها وجب علينا قبوله فضلا عن السعي اليه وما خالفها عارضناه فضلا عن مقاومته .

وكلنا نذكر ان المستر ايدن ادلى قبيل تأسيس الجامعة العربية ببيان في مجلس العموم البريطاني ، حبذ فيه قيام هذه الجامعة ، ومع ذلك فانكم لم تقولوا له يومذاك : « اخرس ايها الاستعماري اننا نؤثر التفرقة ونرفض قيام جامعة عربية ما دمت انت الذي حبذها او دعا اليها ! » ، بل اننا نراكم اليوم اشد الناس حرصا عليها واستمساكا بها ، وقد قلتم ولا تزالون : « ارادها ايدن شيئا واردناها

شيئا اخر » ، فلماذا لا يجـــوز اليوم ما جاز بالامس ؟

انا نريد ان نفرض المستحيـــل ، وان نزعم بان بريطانيا هي الداعية الى هذا الاتحاد ، فهل يجوز رفضه اذا كانت لنا مصلحة فيه ؟

لو جاز الاخذ بمنطقكم هذا ، لكان عليكم ان تأبوا شراء الاسلحة من عدوتكم بريطانيا ، ولكان على السوريين ان يرفضوا الاستقلال يوم لاحت لهم بارقته لان بريطانيا كانت في ذلك الحين ولغرض من اغراضها تؤيده ، وكان على السوريين ان يرحبوا بقنابل فرنسا تدك دمشق ، ما دام ان تشرشل الاستعماري الانكليزي الاكبر امر ديغول وروجيه بالكف عن تدمير دمشق !

بل كان الواجب على اللبنانيين ان يستمسكوا بفرنسا لان الجنرال سبيرس ممثل بريطانيا الاستعمارية كان راضيا عن حركة المقاومة اللبنانية !

وكان على حكومة مصر كذلك ان ترفض الفيتو الروسي الاخير الذي ما لجأت اليه روسيا الشيوعية الا لأن مصلحتها الشيوعية اقتضت ذلك !

اما ايطاليا فكان عليها الا تستعين بنابليون الثالث وبالدول الاخرى في سبيل وحدتها ، كما كان الواجب على مصطفى كمال ان يرفض مساعدة روسيا وفرنسا وايطاليا في حربه اليونان !

لقد افترضت المستحيل حين زعمت مع الزاعمين بأن بريطانيا تؤيد الدعوة الاتحادية ، ولكنني احب ان اسأل اخواننا الكتاب المصريين السؤال التالي :

ان الصحف المصرية ظلت في الاونة الاخيرة تحمل في غير هوادة حملات شعواء على السلطات العراقية والاردنية زاعمة انها ادوات مسخرة للانكليز ، وما اجيز لنفسي هنا ان ادافع عمن في العراق او عمن في الاردن ، وانا من القائلين بحق اي عربي في اي قطر عربي ان ينتقد وان يحمل على اية حكومة في اي قطر عربي آخر اذا رأى ان واجبه القومي يقضي بذلك ، ولكن ما اريد ان اسأله هو : ما دامت السلطات التنفيذية في البلدين بيد اعوان بريطانيا ، وما دام مشروع الاتحاد بريطانيا ، فلماذا لم يتحقق ؟

من هو الذي يحول دون تحقيقه بين البلدين ما دامت الادوات التنفيذية القابضة على السلطان الظاهري منه والباطني والتي بيدها النقض وبيدها الابرام تريد هذا الاتحاد وترغب فيه ؟

واقل ما في تحقيقه الزلفى لبريطانيا صاحبة المشروع حسب ما تزعمون ؟

لماذا لم يتحقق هذا الاتحاد؟ وهل مقالات الاستاذ التابعي والاستاذ مصطفى امين وجريدة « الجمهورية» هي التي حالت دون تحقيقه ؟

واخيرا : ان ترتبط ليبيا مع بريطانيا بمعاهدة هي اسوأ من الانتداب في مفهوم السيادة فامر لا يؤدي الى شقاق الجامعة ولا يدك بنيانها !

وان تؤجر ليبيا قواعدها العسكرية للولايات المتحدة فامر لا يفكك الجامعة ولا يشق الدول العربية !

اما ان تشترك ليبيا مع هذا في منظمة الضمان الجماعي ، وهي غارقة في هاتيك الارتباطات فما يضير الضمان الجماعي في قليل ولا كثير !

اما ان تدفع بريطانيا نفقات الجيش الاردني ومصاريف الامن العام في الاردن ، وان تكون قيادة الجيش الاردني بريطانية ، فامر لا يفكك كلمة الجامعة ، وان تشترك الاردن في وضعها هذا بميثاق الضمان الجماعي فامر لا يضير هذا الضمان ولا يضره ولا يؤثر في بنيان جامعتنا العربية .

اما ان تجمع الجامعة العربية وضمانها الجماعي على صعيد واحد بين دول عربية مستقلة ، واخرى شبه مستقلة ، وثالثة ليس لها من مظاهر الاستقلال الا الرتب والالقاب فامر لا بأس فيه ، وهذا التفاوت في السيادة بين اعضائها لم يؤثر ولن يؤثر فيها !

اما ان يبرم ضمان جماعي ومصر لا تزال بريطانيا تحتل قناتها ، والعراق لا تزال بريطانيا تحتل مطاريه ، والاردن وليبيا هما الاردن وليبيا ، والسعودية تعطي الاميركيين اكبر مطار لهم في الشرق ، فامر جائز ممكن وضروري لا اعتراض عليه .

اما ان تستولي الولايات المتحدة على بترولنا العربي وتسخره لاغراضها، وهي التي لا تزال ترعى اسرائيل وتقويها فامر لا يدعو مطلقا الى التفكير ولا يدعو الى مجرد الاعتراض.

ولكن ان يتحد الاردن مع العراق، وان ينقذه من وضعه الراعب ، فيأمن على نفسه ويؤدي ذلك الى تحصين الخط الاول للدفاع عن الامة العربية !

اما ان تتحد سورية مع العراق اتحادا يؤدي الى تقوية البلدين عسكريا واقتصاديا وسياسيا فذلك هو البلاء كل البلاء ، وذلك هو الشر كل الشر .

ولا حول ولا قوة الا بالله !

م — ٧

استيضاح وسؤال

تعليقا على ما تلقاه الكاتب من رسائل برقية وبريدية وهاتفية بتأييد هذا المقال ، كتب الملاحظة التالية :

وما يهمني ان اشير اليه وان اعلق عليه هو استيضاح وجهه الى « قارىء » وسؤال بعث به « صديق ».

اما الاستيضاح فقد ورد فيه :

« وليتك تفصل لنا ما تعني بالتباين بين ما نفهمه نحن من معنى القومية العربية وبين ما يفهمون ! »

ومن الصدف ان اقرأ يوم تلقيت هذا الاستيضاح راي الاستاذ محمد علي علوبه فى الوحدة العربية منشورا فى « اخبار اليوم » المصرية. ولعلها تعمدت ان تنشره لتدعم اراءها التي فندناها فى مقالنا .

واذا علمنا ان محمد علي علوبه الوزير المصري السابق ، هو ممن عرفوا باشتغالهم فى الشؤون العربية وممن ذاعت شهرتهم بسبب طابعهم العربي ، وهو من اركان « الاتحاد العربي » ، **اذا علمنا ذلك ادركنا اي بلاء نعانيه من تباين مفهومنا للقومية العربية ومفهوم السيد علوبة وامثاله .**

قال السيد علوبه فى مقاله :

« اذا افترضنا ان الامم العربية كلها مستقلة ، ففي هذه الحالة لا يمكن ايجاد دولة موحدة . فانت تعلم ان بعض الامم العربية جمهورية ، وبعضها ملكية فكيف يمكن الجمع بين هذه الدول فالتفكير في هذه الوحدة ، هو تفكير فى انشقاق الامم العربية وتباغضها . »

فشيخ العروبة المصري يقول : « الامم » العربية ، ونحن القوميين العرب لا نعترف بوجود امم

عربية ، فالعرب كلهم امة واحدة ، وللتفريق الاقليمي اصطلحنا على سكان كل قطر بالشعب ، فهناك امة عربية واحدة ، وشعوب متعددة واذا سمحنا لانفسنا بان نقول شعب سوري وشعب فلسطيني فما يسمح لنا مفهومنا القومي بان نقول : امة سورية وامة فلسطينية

ويستأنف ، ذلك الباشا الذي يعدونه فى مصر حجة فى الشؤون العربية مقاله : « ان التاريخ قد اثبت ان ايجاد امبراطورية مكونة من شعوب قد تتكلم لغة واحدة يجعلها عرضة للضعف والاضمحلال نظرا لاختلاف المشارب والعادات والتقاليد . الا ترى ان كل اميركا الوسطى والجنوبية ، (لماذا تجاهل اميركا الشمالية ؟) تتكلم لغة واحدة، وهي الاسبانية عدا البرازيل فهل تفكر دولة من هذه الدول فى ان يكون الجميع تحت راية واحدة ورجل واحد ؟ وهل تفكر البرازيل في الانضمام الى البرتغال ؟»

ارايت يا قارئي العزيز كيف ينظر علوبة للامر ؟ ارايت كيف انه يعتبر ما بين سورية والعراق او بين مصر وسورية هو عين ما بين البرازيل والبرتغال ، وهو عين ما بين الارجنتين والمكسيك ؟

ومن الانصاف للسيد علوبة ان اشير الى قوله : « لهذا ارى ان يوجد اتحاد قلبي (هذا تعبير طريف في قاموس السياسة الدولية) وثقافى واقتصادي وصناعي ثابت متين بين هذه الدول العربية . »

احسب ان ايرادي عبارات هذا الرجل الذي يعدونه هناك من اقطاب العروبة كاف لايضاح الفرق بين ما افهمه انا وانت ايها القارىء وبين ما يفهمون :

واما سؤال «الصديق» فقد ورد بعد مقدمة يقول فيها انه فى طريق الايمان بالدعوة الاتحادية: « ان سؤالا يساورني كلما فكرت فى الامر ، ان اسرائيل حتما تكره هذا الاتحاد وتعتبره فى غير مصلحتها واسرائيل تنذر بمقاومته بالقوة ، الا يجب ان يدعونا تهديد اسرائيل الى التريث كثيرا فى الامر والى اجتناب ما قد يجرنا الى انكسار جديد وهزيمة اخرى ؟»

لعل هذا السؤال ذاته من ابلغ الدلالات على فداحة الكارثة التي نزلت بالامة العربية من قيام اسرائيل ، وهو ذاته ينم على اضطرار الامة العربية الى ان تفكر فى كل حركة من حركاتها ، وكل تصرف من تصرفاتها بان اسرائيل موجودة وان « فيليب على الابواب »).

اني لآسف ان اقول : ان هذا التهديد الاسرائيلي السافر والوعيد الجاهر لم يؤديا الى تورع بعض الكتاب عن الصاق «الاستعمارية » بالدعوة الاتحادية ولم يمنعا بعض الاقلام الجاهلة من الزعم السخيف بان لاسرائيل مصلحة فى تحقيق الاتحاد !!!

وعندي ان حملة اسرائيل على الاتحاد فى عنف صارخ ، يجب ان تحفزنا الى المبادرة لتحقيقه ، ويجب ان تدفعنا الى الاعتصام بحبله والى العض عليه بالنواجز .

واسرائيل حين تريد ان تهجم وان تعتدي لا يعوزها السبب المسوغ ولا الحجة المبررة ، وها هي ذي تعتدي كل يوم من دون ان يكون هناك اتحاد ، وهل الذي يؤخر الهجوم الاسرائيلي او يعوقه هو فقدان الحجة وضياع المسوغ ونشدان السبب المباشر؟

واي هوان ، واية ضعة ، واي ذل ، واي عار ، اعظم من ان نتمسك بالتجزئة ، وان نتجنب الاتحاد لان اسرائيل تريد ان نبقى مجزئين ولان اسرائيل لا تريد ان ترانا متحدين ؟

ترى هل تجزئتنا هي الضمانة التي تحول دون هجوم اسرائيل، ام ان هذه التجزئة هي التي ستغري اسرائيل بنا وتحثها على استفراد دويلاتنا ؟

وبعد ، فهاتوا لنا مثلا تاريخيا واحداً يدل على ان امة من الامم اتحدت برغبة اعدائها او استقلت بارادة خصومها !

على ان نقطة البدء فى العمل لتحقيق الاتحاد ، وفى التدبير الفوري العاجل هي الاستعداد الموحد لرد اي عدوان يهودي على ضوء الافتراض البدهي بأن اسرائيل ستقاومه . واني لمعتقد بان كل تأخير فى تحقيق الاتحاد هو لمصلحة اسرائيل ، وان الواجب القومي كان يحتم علينا ان نقيم الدولة الاتحادية فور قيام اسرائيل اي ان يكون رد الفعل السريع هو قيام دولة اتحادية محترمة امام اسرائيل .

ولكن ما تقول فى ساسة وقادة يرضيهم كل الرضاء ان يلوذوا بالبيان الثلاثي ، وان ينشدوا حماية امیركا وبريطانيا وفرنسا ، ويطمئنوا الى غير من يجب ان يطمئنوا اليهم ، وقد يؤثرون مصالحة اسرائيل النهائية على ان يسلكوا السبيل السوي لتقوية العرب ، وهو سبيل يبدأ بالاتحاد وبكل ما يؤدي الى المنعة من سلاح وتدريب وتعبئة .

اكرم زعيتر

خواطر اتحادية

ان اخوانا لنا يرون رأينا فى الاتحاد، ولكنهم لا يجبهون الحقائق راسا ولا يجهرون بها ، ومن حق الفكرة علينا ان نجهر نحن بما اجتنبوا هم الجهربه.

ان منهم من قال بالتعاون الثقافى والاقتصادي مع البلاد العربية حلا للازمة التي نعانيها ، ودفعا للخطر الذي نواجهه .

و ((التعاون)) شيء و ((الاتحاد)) شيء اخر ، ونحن نستطيع ان نتعاون ثقافيا واقتصاديا مع اية دولة اجنبية، اما الاتحاد فلا يصح ان يكون مع دولة اجنبية ، ومن ذا الذي يقول بان التعاون الثقافى والاقتصادي فى وضع كوضعنا ، يتقدم الاتحاد العسكري الذي هو وحده يؤمن لنا من الوقت ما نستطيع فيه ان نعمل فى حقلي الثقافة والاقتصاد مطمئنين الى اننا موجودون ؟

ولنا اخوان يجهرون بان الخلاص فى الاتحاد ، ولكنهم يشترطون بان يكون اقتصاديا اولا،ويقولون ان مشكلتنا اقتصادية قبل كل شيء ، ومتى حلت هذه المشكلة الاقتصادية حلت المشكلة السياسية ، وهنا لا يحتاج الى البرهنة على انه مخالف للواقع، ومن ابده البدهيات القول بان مشكلتنا سياسية اولا ، انها المشكلة التي تتعلق بدوام وجودنا عربا ، وبقدرتنا على الدفاع المسلح عن وطننا .

وكيف يستطيع من لا يملك من أمره حتى القدره على الدفاع عن نفسه ، ولا يتمتع بحريته ، ولايقوى على المحافظة على كيانه ، ان يتصرف حرا فى اقتصاده ؟ وكيف يتطلب ان يزدهر اقتصاده فى كيان سياسي مهدد ، فقير ، ضعيف ، ما لم يكن هناك اتحاد ينقله الى الكيان السياسي الاقوى والاغنى ؟

انني لا ادري مدى الجد ومدى القناعة لدى من يرى العدو محتلا لجزء من وطنه ، وقد اقام فيه دولة لئيمة ، غادرة ، طامعة ، مستعجلة ، حين يتجاهل الاتحاد العسكري وما يفترض ان يهيئه من وسائل القدرة على دفع العدوان المتوقع بين كل عشية وضحاها ويلوذ اولا بالدعوة الى الاتحاد الاقتصادي باعتباره هو الاهم وهو الاولى بالبحث والاجدر بالتحقيق ؟

واني اتصور على ضوء رغبات هؤلاء الاخوان ، اننا نحن الذين نعيش فى جبهة القتال وخط النار نخاطب اسرائيل : ((اي اسرائيل ، تريثي، انتظري، لا تهجمي ، حتى نوحد برامج التعليم بيننا وبين الاقطار العربية وحتى نتدارس اوضاعنا الاقتصادية فى البلاد العربية كلها ، عاقدين لذلك المؤتمرات ، متبادلين الزيارات ، واذا ما انتهى بنا الجهد

فقرات مختارة من مقالات عديدة في موضوع الاتحاد نشرت في ازمنة مختلفة.

المستطيل الى اتحاد اقتصادي يحل مشكلتنا الاقتصادية ، واذا ما ادى هذا الحل الاقتصادي الى حل مشكلتنا السياسية فتفضلي بعدئذ بمهاجمتنا فنحن عندئذ حاضرون !»

***

سيظلون

اعتقد ان اخوان الشعوبية ، وعبدة الاقليمية ، والمأجورين سيظلون على مناوأتهم للاتحاد حتى بعد ان تلغى المعاهدة العراقية ـ البريطانية ويستكمل العراق سيادته .

انهم سيقولون : الاتحاد بين قطرين عربيين سيقضي على الجامعة العربية ، انه مؤامرة استعمارية لتشتيت شمل العرب وتفريق كلمتهم انه سيحول دون الوحدة الشاملة انه يرمي الى تقوية الاسرة المالكة الفلانية وكيف نتحد مع بلد يسوسه فلان ويتولى امره علان !

لقد عرفت كاتبا كان كل همه مهاجمة الجامعة العربية ، وبيان اسوائها والدعوة الملحة الى نسفها ودفنها ، وهو اليوم يحارب الاتحاد بين العراق والاردن ، وبين العراق وسوريا بالزعم الجريء الخاطىء بانه يهدم الجامعة العربية ويقضي عليها فالجامعة العربية كانت فى نظره مؤسسة استعمارية حتى ظهرت الفكرة الاتحادية فغدت الجامعة مقدسة يجرم فى حق العرب من يعمل لاتحاد يحتمل ان يحل محلها !

وقد عرفت عسكريا وضعته الاقدار فى سدة الحكم كان يسرد لك الف سبب وسبب لمقاومة الاتحاد السوري العراقي وكان لا يفتأ يقول فى تحد : « اتركوا سورية وشانها وفكروا باتحاد الاردن مع العراق ، لماذا لا يتحد الاعمام والاقرباء اولا ؟ لماذا تتركون الاردن وتتمسكون بسورية ؟ »

فلما لاحت فرصة للبحث فى الاتحاد الاردني العراقي ، امر جنابه اللاجئين المساكين فى بلده بان يسيروا فى مظاهرة استنكار للمشروع الاستعماري ، وادلى هو بحديث هدد فيه بمقاومة ذاك الاتحاد مع انه لم يستطع ان يصنع شيئا يمنع فيه « اسرائيل » من تجفيف الحولة .

ولما سئل عن الضرر الناجم من تحقيق هذا المشروع الاستعماري ـ حسب زعمه ـ ادعى بانه يؤدي الى تطويق سورية ، اي ان العراق والاردن سيطوقان سورية !

ان الامة التي تجد فيها من يؤثر ان تدفع بريطانيا نفقات احد الجيوش العربية ، وما يتبع ذلك من وجود بريطاني فى مكان القيادة منه ، على اتحاد يحفظ للبلد كرامته ويصون عزته ويمكنه من الدفاع عن نفسه ، ان امة هذه حالها لا تعدم فيها من يخلق الف حجة وحجة يتذرع فيها لمقاومة الاتحاد ولا يستحي ان يقول بتوازن دولي بين اقطارها !

***

لبنان والاتحاد

يجب ان يعمل المخلصون ما وسعهم العمل على ان يطمئن الفريق الذي يخاف الاتحاد من اللبنانيين الى ان « العروبة » خير على لبنان وبركة والى انها تنكر التعصب المذهبي فاذا اطمأن هذا اطمئنانا قلبيا ، وزالت وساوسه التي لا يد له هو في وجودها ، لانها وريثة اجيال ووليدة عوامل ، واذا راى بعينيه نموذجا حيا للاتحاد الراقي القوي

المحترم يقوم في جواره وعلى حدوده فانه سيطلب بنفسه ان يشترك فيه وان يتمتع بخيره ومجده وبركته .

***

الهدف الاول

شيء اخر لا بد لي من الاشارة اليه ، هو هذه الشروط التي يضعها بعض الاخوان الذين لا نشك مطلقا في صدق وطنيتهم « لقبول » الاتحاد مما يوحي بان تحقيق امنية قومية غالية كالاتحاد يحتاج الى اقناعهم بالتفضل بقبوله . وتقرأ الشروط فيدهشك ايرادها لانها من البديهيات ، وهي تحرم الصلح مع اسرائيل والتنزل عن شبر من الارض العربية لاسرائيل والاعتراف بالوضع التاعس الذي نئن منه ، مع ان **الغاية الاولى ، العاجلة ، من كل اتحاد ان نكون في الوضع الذي يستحيل فيه ان يدعو عربي الى الصلح بحجة الضعف وعدم القدرة على الدفاع مما هو صفة التجزئة ، وان نكون في الوضع الذي نستطيع معه المحافظة على ما في ايدينا اولا والاستعداد لاسترداد ما سلب منا ثانيا ؟**

***

تهرب!

وشيء اخر لا بد من الانتباه اليه وهو هذا التهرب من التخصيص الى التعميم ، فكلنا دعاة وحدة عربية شاملة ، وكلنا ندين بالاتحاد بين الاقطار العربية كافة ، ولكن اذا عرض موضوع الدعوة الى اتحاد بين قطرين عربيين تهربنا من ابداء الراي فيه بالذات ولذنا بالتعميم واعتصمنا بالشمول ، وتجنبنا وصف عاجل الدواء لما نعانيه من راهن البلاء !

بل ان منا من يتظاهر في الحملة على الاتحاد بين قطرين بالاشفاق على الوحدة بين جميع الاقطار !

***

حقائق التاريخ

اننا لا نزال في دور الدعوة ولما ننتقل الى دور العمل الجدي المنظم لتحقيقها ، فاذا قدر لدعوتنا ان تدخل ايمانا في قلوب الشعب فان فيها من عنصر الحق والصدق والنور ما يكفل بتبديد السحب التي تكتنفها ، وهزيمة خصومها .

على اننا لا يجوز ان نجهل حقائق التاريخ ، وان نتجاهل عظاته ودروسه وقد علمتنا هذه ان المناقشات والمذكرات والمؤتمرات لا تبلغ في تحقيق الاغراض القومية العالية ما تبلغه القوة المؤمنة الفعالة توجهها الزعامة المعتقدة الكفيئة الموثوقة الشجاعة ، ويؤيدها الرأي الشعبي العام الواعي المدرك المؤثر .

***

رسالتنا

ان كل رسالة في الدنيا يبدعها الله في فكر العبقري الملهم خيالا ثم ينشئها في سريرته ضياء وجمالا ثم يقتحم بها الدنيا ثورة وصيالا . وان رسالتنا في وحدة العرب ومعركة الثأر لن يسلبها واقعنا المرير الفاجع روعة خيالها وفتنة جمالها ولا بشائر المقبل المرجو من كفاحها ونضالها . وستنعم هذه الرسالة من سرائرنا بما ينديها ويعطرها ومن دمائنا بما ينورها وينضرها . وسترف على هذه الجذوة من الالم نفحه الايمان بالله وبالعروبة وبالمستقبل .

فهرست

